

قسم: أصول الدين

# أمالي المقاصد القرآنية

السنة الثانية ماستر تفسير

من إعداد :

د أمينة رابح

## قسم: أصول الدين

## قسم: أصول الدين

### محاضرة أولى: ضبط الحقائق و المفاهيم :

أولا : ماهية المقاصد القرآنية .

في هذا المبحث سنحاول ضبط ماهية المقاصد القرآنية وذلك ببيان حقيقتها و كذا تحصيل أنواعها بالإعتبارات الممكنة .

#### 1- المقاصد القرآنية :

يعد مصطلح المقاصد من أكثر المصطلحات التي أثارت جدلا بين العلماء في العصر الحديث ، خاصة و أن ضبطه قد غاب في أهم المدونات المقاصدية وهو كتاب الموافقات .

#### تعريف المقاصد :

لغة : أصل المقاصد في اللغة هو الفعل قصد، يقصد قصدا ، وتطلق على عدة معاني من بينها

الاستقامة: فيقال طريق مستقيم ، قال تعالى في سورة النحل: ﴿وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ

وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدْنَاكُمْ أَجْمَعِينَ﴾ [النحل 9] . و تطلق على الاعتدال قال

تعالى: ﴿وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ وَأَغْضُضْ مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ لَصَوْتُ

الْحَمِيرِ﴾ [لقمان 19] . و يؤكد المعنى السابق ما ورد في السنة النبوية : "القصد القصد

تبلغوا" <sup>1</sup> وعن جابر بن سمرة يصف صلاة النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : " كُنْتُ أُصَلِّي مَعَ

رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، فَكَانَتْ صَلَاتُهُ قَصْدًا ، وَخُطْبَتُهُ قَصْدًا . " <sup>1</sup>

<sup>1</sup> عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " لَنْ يُنْجِيَ أَحَدًا مِنْكُمْ عَمَلُهُ " ، قَالُوا :

وَلَا أَنْتَ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟ قَالَ : " وَلَا أَنَا ، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةٍ سَدَّدُوا ، وَقَارِبُوا وَاعْدُوا ، وَرُوحُوا وَشِيءٌ مِنْ

## قسم: أصول الدين

وتطلق على الأم قال النابغة الذبياني :

" وقائلة: مَنْ أُمَّهَا وَاهْتَدَى لَهَا زِيَادُ بْنُ عَمْرٍو أُمَّهَا وَاهْتَدَى لَهَا "

وتطلق على إتيان الشيء قال ابن جنبي: "أصل قصد ومواقعها في كلام العرب الاعتزام ،  
التوجه و النهود ، والنهوض نحو الشيء على اعتدال كان أو جور هذا أصله في الحقيقة ...."2

كما تطلق على إصابة الشيء فترديه قتيلا أو تسبب كسره كالسهام مثلا ،يقول الأعشى :

فأقصدها [سهمي] وقد كان قبلها لأمثالها من نسوة الحي قانصا .

ويقول أبو حية النميري:

رمين فأقصدن القلوب ولم تجد دما مائرا إلا جوى في الحيازم

وتطلق على الاكتناز في الشيء .

وتطلق على القرب فيقال سفر قاصد أي قريب .<sup>3</sup>

ورد لفظ ق ص د في القرآن الكريم في ستة مواضع وتفيد في مجملها التوسط والاعتدال

و عدم الإفراط<sup>4</sup>، إلى جانب ما قيل فنجد :

---

الدُّجَّةِ وَالْقَصْدَ الْقَصْدَ تَبْلُغُوا" رواه البخاري، الصحيح، كتاب الرقاق ، باب: كيف كان عيش النبي صلى الله عليه

وسلم وأصحابه .رقم الحديث: 6463.

1. رواه مسلم في صحيحه ، كتاب الجمعة ، باب تخفيف الصلاة و الخطبة ، رقم الحديث : 1887 .

2 ابن منظور ، لسان العرب ، مادة قصد ، ابن فارس ، معجم مقاييس اللغة 5 / 95

<sup>3</sup> الزنجشيري ، أساس البلاغة ، ت : محمد عيون السود ، 2 / 80-81

<sup>4</sup> ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، 6 / 255 . إلى جانب ماسبق أضاف بأن اتباع القصد هو تحقيق للطاعة .

## قسم: أصول الدين

قوله تعالى: ﴿لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَاتَّبَعُوكَ وَلَٰكِن بَعُدَتْ عَلَيْهِمُ الشُّقَّةُ وَسَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَوِ اسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ﴾ [التوبة 42].

وقوله تعالى: ﴿وَإِذَا غَشِيَهُمْ مَوَّجٌ كَالظُّلَلِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ كَفُورٍ﴾ [لقمان 32].

وقوله أيضا: ﴿ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُّقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ إِذْنِ اللَّهِ ذَٰلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ﴾ [فاطر 32].

وقال تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ أَقَامُوا التَّوْرَةَ وَالْإِنجِيلَ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ مِنْ رَبِّهِمْ لَأَكَلُوا مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِن تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ مِّنْهُمْ أُمَّةٌ مُّقْتَصِدَةٌ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ سَاءَ مَا يَعْمَلُونَ﴾ [المائدة 66].

وفي الحقيقة لا يخرج المعنى الاصطلاحي عن المعنى اللغوي بل يؤكد، فمقاصد القرآن اعتدال ضد جور الحرفية والباطنية وهي تقريب للبواعث التشريعية ونهوض لها. فمن حازها سهل عليه إصابة المعاني الحقيقية.

اصطلاحاً:

## قسم: أصول الدين

مصطلح المقاصد من المصطلحات القديمة قدم التشريع والتنزيل، رغم هذا القدم ورغم الغنى الدلالي للمصطلح يجد الباحث نفسه أمام غياب تعريف حدي لها عند العلماء القدماء و على رأسهم شيخ المقاصد وواضع قواعد هذا الفن .

وقد أرجع بعض المعاصرين ذلك لأسباب عديدة من بينها :

"طبيعة العمل الفقهي الأصولي في عصور التشريع الأولى ، والتي كانت لا تحتاج كثيراً إلى التدوين والتأليف والتنظير ، وإنما كانت تتأسس على سرعة الاستحضار الذهني وعلى السليقة العلمية والملكة الاجتهادية الذاتية التي كان يتمتع بها الأعلام المجتهدون.

- طبيعة المادة المقاصدية المتسمة بالاتساع والضخامة والتشعب والتجذر في كثير من

المباحث والفنون الشرعية .

- طبيعة البحث العلمي القائمة على أساس الجهود التكاملية والأدوار المشتركة في صياغة

علم أو فن أو نظرية ، ذلك أن البحث العلمي في موضوع المقاصد هو نفسه لم يشذ عن هذا الأساس وإنما ظل اكتمال بنيانه متوفقاً على جهود السابقين واللاحقين تأسيساً ونقداً وموازنة وإثراء وتطويراً ."<sup>1</sup>

وفي ذلك يقول الدكتور جعيم<sup>2</sup> معللاً: "لم يرد تعريف اصطلاحى مضبوط

---

<sup>1</sup> الخادمي مقاصد التشريع ، مقال منشور بمجلة العدل السعودية.

<sup>2</sup> باحث أكاديمي جزائري ، من مواليد 1966 ، متحصل على شهادة الماجستير في الدراسات الإسلامية من جامعة البنجاب و الدكتوراه 2001 ، من الجامعة الإسلامية باليزيا الموسومة ب طرق الكشف عن مقاصد الشارع .ينظر موقع جامعة المدينة العالمية.

## قسم: أصول الدين

للمقاصد عند المتقدمين من الأصوليين، ومع أن الشاطبي يعد أول من أفرد المقاصد الشرعية بالتأليف وتوسع فيها بما لم يفعله أحد قبله إلا أنه لم يورد تعريفا اصطلاحيا لها وربما كان ذلك راجعا إلى نفور الإمام الشاطبي من التقييد بالحدود في المباحث الأصولية التي تحدث عنها، ويؤيد ذلك انتقاده لنظرية الحد عند المناطقة<sup>1</sup>.

الملاحظ أن هذه التعليقات غير كافية فالكتابة عند العلماء لا تعني الإختصار وترك الحدود بل هي مدعاة للتفصيل والتدقيق حتى في بناء الحدود، كما أن الدكتور الخادمي<sup>2</sup> قام بوصف حركية البحث العلمي القائمة على التكمال، ولكن هل الشاطبي ترك التعريف لأنه يعلم بأن سيجعل لكتابه قبولا وسيأتي من بعده ليستدرك؟ فهذا التعليل مردود من هذا الوجه.

ومن الأفضل أن يعلل أن ترك الشاطبي لتعريف المقاصد كان بسبب "...أنه علم لم تكتمل مباحثه تدوينا، وهو علم مبتكر ولا تسعفه الحدود في الابتداء، ودليل ذلك أن الشافعي لم يعرف الأصول في الرسالة وهذا شأن كل علم مبتكر"<sup>3</sup>.

رغم هذا سنحاول فيما يلي بيان دلالة المقاصد عند عدد من الأصوليين والمفسرين فتعاريف الأصوليين جعلت المقاصد تدور مع الصلاح ووجودا وعدما<sup>4</sup>.

1. ينظر نعمان جعيم، طرق الكشف عن مقاصد الشارع، 25.

2 باحث و أكاديمي تونسي من مواليد 1963، متحصب عبي شهادة الدكتوراه من الزيتونة تخصص أصول الفقه و مقاصد الشريعة. زاول التدريس في عدد من الجامعات الإسلامية وله أكثر من ثلاثين مؤلف. ينظر الترجمة بقلم الشيخ على موقع: الجمعية التنوير للعلوم الشرعية.

3 الأخضر الأخضر، الإمام في مقاصد رب الأنام، 61.

<sup>4</sup> ينظر الغزالي، المستصفى 1/ 174، الأمدى، الأحكام في أصول الحكم، 2/ 271.

## قسم: أصول الدين

أما المعاصرين فقد إتجهو مباشرة لضبط المصطلح خاصة مع الدعوات الصريحة لفتح أبواب التجديد في الفنون الشرعية خاصة فني الأصول والمقاصد .

يعد الطاهر بن عاشور من بين الأوائل الذين عرفوا المقاصد وذلك في معرض تقسيمه لها فقال المقاصد العامة: "وهي المعاني والحكم الملحوظة للشارع في جميع أحوال التشريع أو معظمها، بحيث لا تختص ملاحظتها بالكون في نوع خاص من أحكام الشريعة، فيدخل في هذا أوصاف الشريعة وغاياتها العامة والمعاني التي لا يخلو التشريع من ملاحظتها، ويدخل في هذا أيضاً معان من الحُكْم ليست ملحوظة في سائر أنواع الأحكام ولكنها ملحوظة في أنواع كثيرة منها"<sup>1</sup>

أما المقاصد الخاصة: "هي الكيفيات المقصودة للشارع لتحقيق مقاصد الناس النافعة، أو لحفظ مصالحهم العامة في تصرفاتهم الخاصة، ويدخل في ذلك كل حكمة روعيت في تشريع أحكام تصرفات الناس، مثل قصد التوثق في عقد الرهن، وإقامة نظام المنزل والعائلة في عقدة النكاح".<sup>2</sup>

علال الفاسي فقد عرفها بقوله: "المراد بمقاصد الشريعة الغاية منها، والأسرار التي وضعها الشارع عند كل حكم من أحكامها"<sup>3</sup> قاصداً بالغاية منها مقاصدها العامة، وبالأسرار المقاصد الخاصة لكل حكم من أحكامها الجزئية.

<sup>1</sup> الطاهر بن عاشور، مقاصد الشريعة ص: 51

<sup>2</sup> المرجع نفسه، 146

<sup>3</sup> علال الفاسي، مقاصد الشريعة الإسلامية ومكارمها، 3

## قسم: أصول الدين

أحمد الريسوني بقوله: "إن مقاصد الشريعة: هي الغايات التي وضعت الشريعة لأجل تحقيقها لمصلحة العباد" <sup>1</sup>

عرفها الخادمي بقوله المقاصد: "هي المعاني الملحوظة في الأحكام الشرعية، والمترتبة عليها، سواء أكانت تلك المعاني حكما جزئية أم مصالح كلية أم سمات إجمالية، وهي تتجمع ضمن هدف واحد هو تقرير عبودية الله ومصلحة الإنسان في الدارين" <sup>2</sup>

وحاصل ما سيق أن تلك التعريفات فيها: "إبدال ألفاظ مكان ألفاظ هي أخفى أو مساوية في الجهالة. فمن جلب لمعاني القصد الحكم والغايات فقد أبدل مبنى بمبنى قد يكون مساويا للمقصد في الجهالة أو أخفى منه، وذلك باعتبار المعاني لا باعتبار كونه من التعريفات الجائزة بعد تعذر الحدود والرسوم، لأن جلب الماهيات أمر عسير، وقد تعقل الحقائق ولا تنظم عندها العبارة..... تنتقد تعريفات المقاصد من حيث إنها تؤدي إلى الدور الممنوع، لأن الجاهل بحقيقة المقاصد إذا قيل له: إنها المعاني أو الحكم أو الغاية أو السر التبس عليه الأمر إذا كان جاهلا بحقائقها." <sup>3</sup>

فتلك الألفاظ التي أوردتها العلماء لتوضيح مصطلح المقاصد في تعريفاتهم كثير منها معيب فلفظ المعاني يجعل الناظر يظن أن المقاصد لا تقتنص إلا من بواطن النصوص، ولفظ الأسرار

1 أحمد الريسوني، نظرية المقاصد عند الإمام الشاطبي، 7

<sup>2</sup> نور الدين مختار الخادمي، مقاصد التشريع الإسلامي: مفهومها، ضرورتها، ضوابطها، 4

3 لخضاري لخضر، الإمام في مقاصد رب الأنام 61-62.

## قسم: أصول الدين

"فإنها تعكس فقها توسميا لا يسعفه منهج التواتر و الغاية مقصد من باب التجوز لأن حقيقة المقاصد الوصول إلى الغاية والفرق بينهما".<sup>1</sup>

و التعريف المختار ما ذكره صاحب كتاب الإمام و مفاده أن المقاصد الشرعية هي: "البواعث على تشريع الأحكام".<sup>2</sup> سواء كانت مقاصد أحكام الفقه أو حتى مقاصد أحكام العقائد.

### الفرع الثاني : تعريف القرآن الكريم

أولا : لغة :

القرآن من الألفاظ التي اختلف فيها من حيث الاشتقاق وعدمه والهمز وعدمه ،فمنهم من قال أنه مهموز على وزن فعلان كالزجاج أو الغفران كاللحياني ، وذهب الفراء والأشعري و الشافعي إلى أنه غير مهموز فينطق قرآن .

وذهب جل العلماء إلى اعتبار أن القرآن مشتق فمن قال بأنه مهموز عده مشتق من قرأ.

وهو الجمع ومنه قولنا قرئت الماء في الحوض إذ جمعته

قال أبو عبيد: "سمي القرآن قرآنا لأنه جمع السور بعضها إلى بعض وقيل لأنه جمع ثمرات الكتب السابقة وقيل كذلك لأنه جمع أنواع العلوم كلها بمعان".<sup>3</sup>

ومنهم من قال أنه من قرأ أي تلا وهو قول اللحياني .وهذا القول رجحه الزرقاني في كتابه مناهل العرفان حيث قال : " القرآن في اللغة مصدر مرادف للقراءة ومنه قوله تعالى : "إنا علينا

1 المرجع نفسه ، 62

2 المرجع نفسه ، 62

3 ينظر ابن منظور ،لسان العرب، مادة قرأ.

## قسم: أصول الدين

جمعه وقرآنه..... ثم نقل من هذا المعنى المصدرى وجعل اسما للكلام المعجز المنزل على النبي صلى الله عليه وسلم من باب إطلاق المصدر على مفعوله وذلك ما نختاره "1. ومن عده غير مهموز قال أنه مشتق من قرنت الشيء بالشيء فالحروف قرنت بالحروف والآيات بالآيات والسور بالسور ذهب إلى هذا المعنى الأشعري رحمة الله عليه . وقال القرطبي بأن القرآن من غير همز مؤخود من القرائن لأن الآيات يصدق بعضها بعضها وتشابه بعضها بعضا . 2.

في حين نجد أن هناك من قال بأن القرآن غير مشتق و من هؤلاء الشافعي و الذي يذهب إلى أن القرآن لم يؤخذ من قرأت ولو أخذ من قرأت لكان كل ما قرئ قرآنا ولكنه اسم للقرآن كالإنجيل والتوراة . 3.

بعد هذا التجاول لضبط الدلالة اللغوية لمصطلح القرآن نستطيع أن نقول أن ما سبق سابقا من أقوال لا تعارض بينها مآلا من جهة، ومن جهة أخرى نجد أنها مع اختلافها إبتداءا تؤكد لنا بعض خصائص القرآن وكل قول قد قيل يولد معنى جديد يؤكد بأن القرآن كتاب ضم مقاصد وفيرة و معاني جليلة وحكما بليغة و جب علي المكلف أن يسعى لتحصيلها حتى

1 ينظر عبد العظيم الزرقاني ، مناهل العرفان 1 / 16 .

2 السيوطي ، الإتيقان في علوم القرآن 1 / 188 .

3 ينظر صبحي صالح ، مباحث في علوم القرآن ص: 18، الإتيقان ، مصدر سابق 1 / 188 .

## قسم: أصول الدين

يحصل الراحة في الدنيا والآخرة . ومن كونه كتاب جمع الأوامر والنواهي والوعد والوعيد  
ولسيت إلا مسالكا من أخذ بها حصل المقصود. ومن كونه كذلك كتاب تشابهت آياته ،

وصدقت بعضها بعضا ، فجاءت الحروف و الآيات والسور متناسقة المعاني مترابطة المباني  
تكشف عن نظام مقصود وترتيب مرغوب ، تلفت الناظر إلى ضرورة الاعتناء بمنظومة  
التقصيد في القرآن الكريم.

### ثانيا : اصطلاحا :

القرآن أصل الحقائق الثابتة ومرجع العلماء لذا نجد كل واحد يؤخذ منه بقدر حاجته  
ومتطلباته ، و بقدر تخصصه كذلك فالأصولي يسعى لتحصيل الأحكام واللغوي يبحث في  
مجال الإعجاز ودقة البيان و أهل العقيدة يحصلون أحكام العقائد ، لذا تجد تعاريف تختلف  
باختلاف مشارب هؤلاء وتعلقاتهم ، وهاهنا في هذا البحث الذي يدرس مسألة مقاصد السور  
فإننا نختار التعريف التالي :

القرآن الكريم هو كلام الله الذي أنزله على سيدنا محمد صلى الله عليه و سلم المكتوب في  
المصاحف المتعبد بتلاوته المعجز بلفظه و معانيه .<sup>1</sup>

فالقرآن الكريم معجز بلفظه ومعانيه: " القرآن معجز بجملته ، كما أنه معجز بأي سورة منه ،

و لو كانت أقصر سورة من سوره "2، قال تعالى: ﴿ قُلْ لِّئِنْ أَجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ

<sup>1</sup> نور الدين عتر، علوم القرآن ، 12

<sup>2</sup> المرجع نفسه.

قسم: أصول الدين

عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ  
ظَهِيرًا ﴿[الإسراء 88].

وقوله تعالى : ﴿ وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّنْ  
مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِّنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾ فَإِنْ لَّمْ تَفْعَلُوا  
وَلَنْ تَفْعَلُوا فَأْتُوا نَارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ ﴾ [البقرة 24].

فالقرآن الكريم معجز بتلك الألفاظ التي أرساها وبتلك المعاني التي قصدها، معجز بأحكامه  
و مقاصده معجز بكل ما فيه .

انطلاقا مما سبق سابقا نستطيع أن نقول أن المقاصد القرآنية هي بواعث تشريع الخطاب حكما و  
ترتيا ، أي تشريع أحكامه بالإعتبارات المعروفة وتشمل مقاصد الأحكام و أما بواعث  
الترتيب فتشمل مقاصد النظم القرآني من حيث وروده في المصحف .

## قسم: أصول الدين

### محاضرة ثانية: أنواع المقاصد القرآنية .

تنوع المقاصد القرآنية باختلاف اعتبارات التقسيم المعتمدة ، كما أنها تكمل بعضها البعض باعتبار وحدة مصدرها ، وفيما يلي نتعرف على أهم أنواع المقاصد .  
من خلال المطلب الأول :التعرف على أهم تقسيمات المقاصد .أما المطلب الثاني فيكون لتفصيل تقسيم المقاصد باعتبار العموم والخصوص لكون هذا التقسيم أدل على مقاصد السور القرآنية .

### التعرف على التقسيمات المعتمدة للمقاصد القرآنية .

للمقاصد القرآنية تقسيمات عديدة و ذلك حسب اعتبارات مختلفة ، فهي باعتبار العموم و الخصوص عامة تشمل جميع سور القرآن ، و خاصة مميزة لكل سورة ، ومقاصد جزئية واردة حسب مقاطع و آيات السورة ، و قد نقسمها باعتبار نزول السورة إلى مقاصد مكية وأخرى مدنية . و قد نقسمها باعتبار الصلاح و مجاله ، كما يمكن أن تقسم إلى مقاصد أصلية و أخرى تبعية ، ومقاصد خاصة بالأمة المحمدية و أخرى مشتركة بين الملل .

### المقاصد المكية و المدنية

المقاصد المكية هي ما أستنبط من القرآن المكي و المدنية ما أستنبط من القرآن المدني ، ومعلوم أن بينها اختلاف و ذلك لتباين أزمنة التشريع ومراعاة بيئة المكلف .

## قسم: أصول الدين

قال ابن جزري: "اعلم أن السور المكية أكثرها في إثبات العقائد، و الرد على المشركين، وفي قصص الأنبياء، و أن السور المدنية نزل أكثرها في الأحكام الشرعية، وفي الرد على اليهود والنصارى، وذكر المنافقين، والفتوى في المسائل، وذكر غزوات النبي...<sup>1</sup>"

ويقول ابن القيم: "الاعتناء في السور المكية إنما هو بأصول الدين، من تقرير التوحيد و المعاد و النبوة، أما تقرير الأحكام و الشرائع فمظنة السور المدنية"<sup>2</sup>.

فمن مقاصد القرآن المكي عموماً: تقرير أصول الإيمان بالدعوة إلى التوحيد، والإيمان باليوم الآخر و تقرير رسالة النبي صلى الله عليه وسلم و الإيمان بالملائكة و نقض الشرك و أصوله، و تحدث عن العادات العربية المنتشرة في الجاهلية.

كما ذكر أصول الأخلاق، و قواعد الاجتماع من الدعوة للصدق، والبر و الصلة، و بر الوالدين. فسورة البلد مثلاً "حوت من الأغراض التنويه بمكة، و بمقام النبي - صلى الله عليه وسلم - بها، و بركته فيها و على أهلها، و التنويه بأسلاف النبي - صلى الله عليه وسلم - من سكانها الذين كانوا من الأنبياء، مثل: إبراهيم وإسماعيل، أو من أتباع الحنيفية مثل: عدنان و مضر كما سيأتي. و التخلص إلى ذم سيرة أهل الشرك و إنكارهم البعث، و ما كانوا عليه من التفاخر المبالغ فيه، و ما أهملوه من شكر النعمة على الحواس، و نعمة النطق، و نعمة الفكر، و نعمة الإرشاد، فلم يشكروا ذلك بالبذل في سبل الخير، و ما فرطوا فيه من خصال الإيمان و أخلاقه. و وعيد الكافرين و بشارة الموقنين"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> ابن جزري، التسهيل لعلوم التنزيل، 1/ 8.

<sup>2</sup> ابن القيم، التبيان في أقسام القرآن، 204،

<sup>3</sup> ابن عاشور، التحرير والتنوير، 346/ 15.

## قسم: أصول الدين

كما أن من مقاصد القرآن المكي إيراد قصص الأنبياء و الأمم الغابرة من أجل تثبيت قلب النبي صلى الله عليه و سلم، ومواساتهم فيما كان يصيبهم و إثارة العبرة والعظة بقصص من سبقهم.<sup>1</sup>

ثم جاءت المرحلة المدنية بعد أن رسخت العقيدة السليمة في قلوب المسلمين و طرح تلك العادات السيئة و صقلت النفوس ، فاحتاج هؤلاء لما ينظم حياتهم و علاقاتهم في مناحي الحياة عامة ، فتكفل القسم المدني من القرآن بتنظيمه، لذا جاءت سوره تفضح المنافقين وتناقش أهل الكتاب بحكم مجاورتهم للمسلمين في المدينة 2، وتفصيل أحكام الجهاد ومقاصده ، خاصة وأن من أوصاف هذا الدين تحرير الإنسان من عبوديته لغير الله ، و مراعاة الفطرة .

### مقاصد القرآن باعتبار تحقيق الصلاح .

تنوع المقاصد القرآنية على مستوى السور باعتبار مجال تحقيق الصلاح إلى مقاصد تحقق الصلاح الفردي و أخرى تحقق الصلاح العمراني على مستوى المجتمع المسلم أو على المستوى العالمي .

فالقرآن بني في مجمله على جلب الصلاح للإنسان في العاجل أو الآجل للمكلفين أفرادا وجماعات ، و فيما يلي تفصيل لتلك المقاصد.

### تحقيق الصلاح الفردي.

" إن المقصد الأعظم من الشريعة هو جلب الصلاح و درء الفساد و ذلك يحصل بإصلاح حال الإنسان و دفع فساده ، فإنه لما كان هو المهيمن على هذا العالم ، كان صلاحه صلاحا للعالم و

1 نور الدين العتر، علوم القرآن، 63.

<sup>2</sup> فضل عباس ، إتقان البرهان في علوم القرآن ، 376-377

## قسم: أصول الدين

أحواله ، ولذلك نرى الإسلام عالج صلاح الإنسان بصلاح أفراده الذين هم أجزاء نوعه ، وبصلاح مجموعته وهو نوعه كله "1 و صلاح الفرد لا يتحقق إلا بصلاح تفكيره ومعتقده ، ثم صلاح نفسه و جسده كذلك.

و نلاحظ أن هاته المقاصد متكررة في السور المكية التي من خصائصها صلاح معتقدات المكلفين و تعديل سلوكياتهم المنافية للفطرة و تهذيب أخلاقهم .

إن المقاصد الداعية لإصلاح الاعتقاد عادة ما تأتي متضمنة لضرورة النظر في الآفاق

و الأنفس، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِنْ طِينٍ ﴿١٣﴾ ثُمَّ جَعَلْنَاهُ

نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ ﴿١٤﴾ ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً فَخَلَقْنَا الْعَلَقَةَ مُضْغَةً

فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظْمًا فَكَسَوْنَا الْعِظْمَ لَحْمًا ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ فَتَبَارَكَ

اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ بَعْدَ ذَلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٦﴾ ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

تُبْعَثُونَ ﴿١٧﴾ [ المؤمنون 12-16]. فالآيات تعرض لنا دلائل التوحيد و الإيمان من خلال

دفع الإنسان للتفكر في ذاته و في أطوار وجوده و نموه مبتدأ بأصل النشأة منتها بحقيقة البعث

و النشور ، فتجد الآيات مقرررة لمقاصد التوحيد تفصل الحديث عن الدلائل 2.

1 ابن عاشور ، مقاصد الشريعة ، 64

2 الأساليب القرآنية في عرض العقيدة ، صالح خليل الطائي ، 82

## قسم: أصول الدين

من صلاح الفرد صلاح عمله و هو من نتائج صلاح الاعتقاد لأن " أعمال العاملين تجري على حسب معتقداتهم و أفكارهم ، فجدير بمن صلحت عقائده و أفكاره أن تصدر عنه الأعمال الصالحة و النهي عن أضداده أن يبتدىء باصلاح العقيدة " 1.

فالله سبحانه وتعالى خلق الإنسان على الفطرة قابلاً للتمييز بين الصلاح والفساد ثم عزز ذلك بأن أرسل إليه رسلاً مبينين لما قد يخفى أمره من الأفعال أو يشتهه على الناس فساده بصلاحه ومنبهين الناس لما قد يغفلون عنه من سابق ما علموه فأصلحو معتقداتهم وأصلحو أعمالهم 2. نجد أن مقاصد إصلاح الأفراد تأتي عادة مقترنة بمقاصد صلاح الجماعة لأن صلاح الجزء مكون لصلاح الكل ، فلو نظرنا إلى سورة النور مثلا نجد أن مقصودها هو تربية الأفراد على الأخلاق الفردية والجماعية .

### تحقيق الصلاح الإجتماعي :

و يكون بتحقيق صلاح الأسرة و أفرادها وتحقيق صلاح الجماعة المسلمة و تحقيق صلاح الجنس الإنساني ككل .

فالله خلق الإنسان محبا للعيش في الجماعة ومن أثار ذلك تدافع الحقوق ووقوع النزاعات والخصومات و تراحم المصالح ، لذا نجد القرآن قد اعتنى بالجماعة المسلمة فنظم حياة أفرادها من خلال تنظيم الأسرة و تنظيم السياسة ، و الدعوة إلى الأخوة و حمايتها من كل ما يفسدها ، و قد اعتنى القرآن بالعلاقة مع غير المسلمين و في هذا الباب نذكر قوله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا

1 ابن عاشور ، أصول النظام الإجتماعي في الإسلام ، 63 .

2 ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، 15 / 388 .

قسم: أصول الدين

النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاهُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا ۗ إِنَّ  
أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَاهُ ۗ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ ﴿١٣﴾ [الحجرات].

## قسم: أصول الدين

المحاضرة الثالثة : تقسيم المقاصد القرآنية باعتبار العموم والخصوص .

يقوم هذا التقسيم على النظر في سياق ورود المقصود فإن دل عليه عموم السور القرآنية كان المقصد عاما وإن دل عليه عموم السورة كان المقصد خاصا ، وإن دل على المقصد عموم الآية أو المقطع كان المقصد جزئيا .

وهكذا نجد أن مقاصد القرآن بهذا الاعتبار مقاصد عامة و خاصة وجزئية .

### المقاصد العامة :

لقد إهتم العلماء بالمقاصد العامة في القديم والحاضر، ما أنتج تنوعا في تقسيماتها و سنحاول عرض تلك التقسيمات ثم نقوم بمناقشتها .

### 1- تقسيم الرازي :

يعد الرازي من أوائل من أشار لمعاني القرآن الكريم و مقاصده الكلية وذلك أثناء تفسيره لمطلع سورة هود فقال : "معاني هذا الكتاب هي التوحيد ، والعدل ، والنبوة والمعاد" 1 و الملاحظ إهتمامه بمقاصد الاعتقاد ، وربما لأنها محل الأحكام وعدم النسخ . نفس تلك المقاصد العقائدية ذكرها الشوكاني و إعتبرها قدر مشترك بين الشرائع السماوية كلها وفي ذلك يقول : " أما مقاصد القرآن الكريم التي يكررها، ويورد الأدلة الحسية والعقلية عليها، ويشير إليها في جميع سوره وفي غالب قصصه وأمثاله فهي ثلاثة مقاصد؛ المقصد الأول: إثبات التوحيد. المقصد الثاني: إثبات المعاد. المقصد الثالث: إثبات النبوات... ولا ريب أن من آمن بالله، وبما جاءت به رسله ونطقت به كتبه، فإن إيمانه بهذه الثلاثة المقاصد هو أهم ما يجب الإيذان به،

## قسم: أصول الدين

وأقدم ما يتحتم عليه اعتقاده، لأن الكتب قد نطقت بها، والرسول قد اتفقت عليها اتفاقاً يقطع كل ريب، وينفي كل شبهة، ويذهب كل شك<sup>1</sup>.

وفما ذكره الشوكاني ليس إلا شطر من المقاصد القرآنية وهي مقاصد الاعتقاد لأنها محل الإحكام والإشراك بين الشرائع أما الفروع فهي محل إختلاف رغم أن مقاصدها الكلية قد تكون محل إتفاق كذلك بين الشرائع ما دامت تهدف لرفع الغبن والظلم وتحقيق المساواة.

### 2- تقسيم الغزالي :

في حين أن الغزالي من أوائل من قسم مقاصد القرآن تقسيماً مقبولاً دون إخلال بأي قسم ، وقد جعلها في ثلاث أصول مهمة فقال : "انحصرت مقاصد القرآن في ستة أنواع: ثلاثة منها هي السوابق والأصول المهمة ، وثلاثة هي الروادف والتوابع المغنية المتممة"<sup>2</sup>

1- تعريف المدعو إليه : وهو شرح معرفة الله تعالى وتشتمل هذه المعرفة على - معرفة ذات الحق تبارك وتعالى - ومعرفة الصفات ، ومعرفة الأفعال. هذه المعارف ليست على درجة واحدة بل هي متفاوتة أعلاها فمعرفة الذات الإلهية وهي من أنفس المعارف والغايات لذا تجدد مجالها ضيق لذلك لا يشتمل القرآن منها إلا على تليويجات يرجع ذكرها إلى تقديس الباري عز وجل وتعظيمه المطلق. والمعرفة الثانية متعلقة بالصفات ومجالها أوسع من الأولى لذلك كثرت الآيات المشتملة على العلم والقدرة والحياة والحكمة والسمع والبصر وغيرها.

وأما الأفعال فهي المجال الواسع فليس في الوجود إلا الله وأفعاله تعالى و القرآن يشتمل على الجلي منها الواقع في عالم الشهادة.

1 الشوكاني ، إرشاد الثقات إلى إتفاق الشرائع على التوحيد والمعاد والنبوات . محمد بن علي الشوكاني ، ، 3-4

2 أبو حامد الغزالي ، جواهر القرآن ، 29 وما بعدها .

## قسم: أصول الدين

2- في تعريف طريق السلوك إليه :

وذلك من خلال الملازمة و المخالفة الملازمة لذكر الله من خلال العباد و التبتل و المخالفة عن ما يشغل العبد عن الله تعالى .

3- في تعريف الحال عند المعاد .

4- في بيان أحوال السالكين و الناكبين : فالسالكين هم الأنبياء و الأولياء و أهل الصلاح .

5- في محاجة الكفار و مجادلتهم في أصول العقائد من توحيد بعث ونبوات .

6- وهي بيان الحلال و الحرام و حدود الله .<sup>1</sup>

كما نجد أن الطوفي قد إعتنى بتقسيم مقاصد القرآن و لكن يلحظ أن تقسيماته غير منظبطة لأنه كان يستعملها في تفسير بعض الأحاديث النبوية المشيرة لفضائل

السورة كالفاتحة ، و الإخلاص و الزلزلة و الكافرون .2

و من المعاصرين نجد تقسيمات كل من محمد رشيد رضا ، محمود شلتوت ، الطاهر بن عاشور .

3- تقسيم رشيد رضا لمقاصد القرآن العامة :

و ها هو ذا محمد رشيد رضا رائد المدرسة العقلية الاجتماعية في التفسير 3 يهتم بمقاصد القرآن

الكريم فيذكرها في تفسيره المنار و يؤكد عليها في كتابه الوحي المحمدي ، فقد قام رحمة الله

عليه بتقسيم تلك المقاصد على عشرة أنواع وهي كما يلي : الأول : بيان أركان الدين : التوحيد

و البعث و الجزاء و العمل الصالح

1 المصدر نفسه .

2 الطوفي ، إيضاح البيان عن معنى أم القرآن ، ص: 22 .

3 فهد الرومي ، اتجاهات التفسير في القرن الرابع عشر الهجري ، 777 .

## قسم: أصول الدين

الثاني: بيان شؤون النبوة والرسالة ووظائف الرسل .

الثالث: بيان أن الإسلام دين الفطرة السليمة والعقل والفكر والعلم والحكمة والفقہ والبرهان والحجة والضمير والوجدان والحرية والاستقلال .

الرابع: بيان الإصلاح الإنساني الاجتماعي السياسي الوطني بالوحدات الثمان :

وحدة الأمة ، وحدة الجنس البشري ، وحدة الدين ، وحدة التشريع بالمساواة في العدل ، وحدة الأخوة الروحية والمساواة في التعبد ، وحدة الجنسية السياسية الدولية ، وحدة القضاء و وحدة اللغة .

الخامس : بيان مزايا الإسلام العامة في التكاليف الواجبة والمحظورة .

السادس : بيان حكم الإسلام السياسي الدولي نوعه وأساسه وأصوله العامة .

وهي ملخصة في عشر مبادئ :

1- كونه وسطا جامعا بين حقوق الجسد والروح .

2- كون غايته الوصول إلى سعادة الدنيا والآخرة .

3- كون غايته تحقيق التعارف والتآلف بين البشر .

4- كونه يسر لا حرج فيه .

5- منع الغلو في الدين .

6- قلة تكاليفه وسهولة فهمها .

7- انقسام تكاليفه إلى رخص وعزائم .

8- نصوصه تراعي اختلاف مدارك الناس وهمهم .

9- معاملة الناس بطواهرهم .

## قسم: أصول الدين

10- مدار العبادات على الإتيان المحض

السابع : بيان الإصلاح المالي .

الثامن : إصلاح نظام الحرب ودفع مفسدها وفلسفتها .

التاسع : إعطاء النساء جميع الحقوق الإنسانية والدينية والمدنية .

العاشر: بيان هداية الإسلام في تحرير الرق..1

4- تقسيم ابن عاشور لمقاصد القرآن الكريم :

أولا- إصلاح الاعتقاد: وهذا يعني التحرر من الشرك و التخلص من الخضوع لغير الله لأن

سواه ليس قادرا على فعل شيء.

ثانيا - تهذيب الأخلاق .

ثالثا- التشريع: وهو الأحكام الخاصة والعامة المنظمة .

رابعا- سياسة الأمة وحفظ نظامها: كالإرشاد لتكوين الجامعة .

خامسا- القصص وأخبار الأمم السالفة للتأسي بصالح أحوالهم .

سادسا- التعليم بما يناسب حالة عصر المخاطبين: وما يؤهلهم إلى تلقي الشريعة ونشرها

وذلك علم الشرائع وعلم الأخبار .

سابعاً- المواعظ والإنذار والتحذير والتبشير وهذا متمثل في جميع آيات الوعد والوعيد

والمحاجة والمجادلة .

ثامنا- الإعجاز بالقرآن: ليكون دليلا على صدق محمد صلى الله عليه وسلم بإدعائه النبوة

والرسالة وتحدي العرب.1

## قسم: أصول الدين

تقسيم الشيخ شلتوت لمقاصد القرآن العامة :

5- تقسيم الشيخ محمود شلتوت مقاصد القرآن إلى ثلاث أنواع : مقاصد العقيدة ، مقاصد الأخلاق ، ومقاصد الأحكام .2

بعد هذه الجولة مع تقسيبات العلماء لمقاصد القرآن العامة لابد من الإشارة إلى أمور وهي

-تركيز بعض العلماء على مقاصد دون أخرى، وهذا ما وقع مع الرازي و الشوكاني .

-تفصيل بعض المقاصد و تكرارها ، وهذا ما وقع مع ابن عاشور و رشيد رضا .

جعل بعض المقاصد التبعية الخادمة للمقاصد الأصلية كمقاصد أصلية و خاصة ، كتلك التي ذكرها ابن عاشور كالمقصود القرآني و الوعد و الوعيد ، و المحاجة .

-بالإمكان دمج ما ذكر من المقاصد تحت مقصدين أساسيين وهما مقاصد الاعتقاد و مقاصد التشريع . لأن ما تبقى من المقاصد تهوي إليها .

المقاصد الخاصة :

وهي تلك المقاصد التي تميزت بها كل سورة من القرآن الكريم ، بحيث تجعلها ذات تفرد بالمقارنة مع غيرها حتى وإن اشتركت معها في بعض المعاني ، التي تقررها وحدة القرآن الكريم .

هاته المقاصد في الحقيقة هي الهادية للغايات الكلية للقرآن الكريم كما أن تلك المقاصد العامة تدل على المقاصد الخاصة من جهة أخرى .

1 المرجع نفسه ، 1 / 175 وما بعدها .

2 محمود شلتوت ، إلى القرآن ، ص : 6

## قسم: أصول الدين

إن المقاصد الخاصة متنوعة باختلاف مجالات الإصلاح في القرآن ، فقد تأتي لإصلاح الاعتقاد كسورة الأنعام أو لإصلاح أحوال الأفراد كسورة الحجرات.

المقاصد الجزئية:

هي تلك المعاني الملحوظة في أجزاء السورة القرآنية سواء تعلق الأمر بالمقطع أو

الآية القرآنية أو حتى الجزء منها .<sup>1</sup>

هاته المعاني بتظايفها تكون لنا المقصود الكلي للسورة القرآنية فمنها ما هو في مرتبة المقدمات أو الخواتيم ، ومنها ما يحقق المقصود في السورة و محورها الأساسي .

و في ذلك يقول الشاطبي في معرض حديثه عن سورة البقرة : " كلام واحد باعتبار النظم ، واحتوت على أنواع من الكلام بحسب ما بث فيها ، منها ما هو كالمقدمات والتمهيدات بين يدي الأمر المطلوب ، ومنها ما هو كالمؤكد والمتمم ، ومنها ما هو المقصود في الإنزال وذلك تقرير الأحكام على تفاصيل الأبواب ، ومنها الخواتم العائدة على ما قبلها بالتأكيد والتثبيت وما أشبه ذلك. "<sup>2</sup>

---

1 لقد فرق الشاطبي يفرق بين غاية الفقيه ، وما يلزمها من مجال حركة التدبر ، وغاية البياني ، وما يلزمها من مجال حركة التدبر ، غاية الفقيه تحصيل المعنى الشرعي المتمثل في الحلال ودرجاته ، والحرام ودرجاته ، وهذه الغاية تتحقق بحركة تدبرية مجالها قد يكون آية أو آيتين أو عدة آيات . وغاية البياني المعنى القرآني في كماله وامتداده. توفيق سعد ، العزف على أنوار الذكر ، معالم الطريق إلى فقه المعنى القرآني في سياق السورة . ، 66.

2 الشاطبي ، الموافقات ، 4/ 269.

## قسم: أصول الدين

### المحاضرة الرابعة: قراءة في نشأة المقاصد القرآنية .

من أجل تحصيل كليات النشأة التاريخية لعم المقاصد القرآنية نبسط المراحل العلمية التالية

أولاً: الإعتناء بالمقاصد القرآنية العامة و الخاصة دون تععيد .

هاته المرحلة تمتد زمانياً من نزول التشريع إلى وقتنا ، لأنها ببساطة تقوم على الاعتناء بالمقاصد الجزئية لكل سورة قرآنية أو بالمقاصد الخاصة بكل سورة أو بتلك المقاصد الكلية للقرآن الكريم . و الملاحظ على هاته المرحلة عدم الاعتناء بالتععيد ، عدم الاهتمام باستمرارية المنهج الواحد و اضطرابه في التزيل ، فتارة يذكر المفسر مقاصد السورة ، وتارة يتركها .

من أوائل المفسرين الذين اهتموا بوحدة المعاني في السورة القرآنية نجد القشيري صاحب لطائف الإشارات فنجد أنه فقه أن لكل سورة في القرآن سياقها الخاص وفي ذلك يقول محقق الكتاب إبراهيم بسيوني : " سار القشيري في «اللطائف» على خطة واضحة محددة التزم بها من أول الكتاب إلى آخره، فهو يبدأ بتفسير البسملة كلمة كلمة، وأحياناً حرفاً حرفاً، والبسملة تتكرر بلفظها في مفتتح كل سورة، ومع ذلك فإننا نجده يلجأ إلى تفسير كل بسملة على نحو ملفت للنظر إذ هي تختلف وتتوعد ولا تكاد تتشابه، ويزداد إعجابنا بالقشيري كلما وجدنا تفسير البسملة يتمشى مع السياق العام للسورة كلها، فالله والرحمن والرحيم لها دلالات خاصة في سورة القارعة، ولها دلالات أخرى في سورة النساء ولها دلالات خاصة في الأنفال وهكذا...." 1

## قسم: أصول الدين

فالقشيري عرف أن للسورة القرآنية وحدة وجعلها خادمة له لاقتناص حكما ومعاني للبسملة توافق جل سور القرآن الكريم خاصة إذ ما علمنا أن اللطائف من التفاسير الإشارية وأن فن المقاصد في مجمله استفاد من التفسير الإشاري كما أن التفسير استفاد من فن المقاصد لكونه ميزان تمحيص للمعاني ومنهجها قويا لاقتناص المعاني والحكم ورفعها إلى رتبة الغايات عن طريق استعمال منهج التواتر المعنوي.

ومن المفسرين الذين اعتنوا بالمقاصد العامة للقرآن نجد الغزالي رحمة الله عليه حيث أنه ألف كتابا خاصا لبيان تلك المقاصد وهو جواهر القرآن ، فقد عقد الفصل الثاني من كتابه لخصر تلك المقاصد و أرجعها إلى ستة أقسام ثلاثة منها أصول مهمة و ثلاثة توابع متممة .

تعريف المدعو إليه وهو شرح معرفة الله تعالى ، في تعريف طريق السلوك إليه ، في تعريف الحال عند المعاد، في بيان أحوال السالكين و الناكين

في محاجة الكفار و مجادلتهم في أصول العقائد من توحيد بعث ونبوات.

وهي بيان الحلال والحرام وحدود الله. "1

وعلى نفس المنهج سار كل من ابن تيمية وتلميذه ابن القيم ، فقد اعتنى ابن تيمية بالنظرة الكلية في القرآن الكريم وفي السورة خاصة فكثيرا ما كان يحاول أن يساعد المتدبر للسورة بإعطائه نظرة شمولية عنها أو عن بعض آياتها يقول في المائة: "سورة المائة أجمع سورة في القرآن لفروع الشرائع من التحليل و التحريم ، والأمر والنهي، ولهذا قال النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال : هي آخر القرآن نزولا فأحلوا حلالها و حرموا حرامها .2

1 أبو حامد الغزالي ، جواهر القرآن ، 5 .

2 ابن تيمية ، الفتاوى الكبرى ، 1 / 498

## قسم: أصول الدين

لقد جاءت جهود ابن القيم مشابهة لتلك الصادرة عن شيخه حيث أنه اهتم بالنظرة الكلية في القرآن ففي بعض المواضع التفسيرية كان يحاول أن يبرز كلية السورة القائمة على بيان موضوعاتها الجزئية في بعض السور و أحيانا تكون قائمة على بيان بعض معانيها.

يقول عن سورة الفاتحة "إعلم أن هذه السورة اشتملت على أمهات المطالب العالية أتم اشتغال و تضمنتها أكمل تضمن فإشتملت على التعريف بالمعبود تبارك وتعالى.... وتضمنت إثبات المعاد وجزاء العباد بأعمالهم حسنا وسيئا..... وتضمنت إثبات النبوات من جهات عديدة...."1.

ومن المفسرين الذين ساهموا في الإعتناء بالمقاصد الكلية للقرآن الكريم نجد ابن جزي الغرناطي الأندلسي حيث أنه أشار لأنواع المقاصد القرآنية الكلية المكية والمدنية وذلك من خلال مقدمة تفسيره النفيسة<sup>2</sup>.

وعلى نفس الدرب القائم على بيان المقاصد الكبرى للقرآن أو المقاصد الخاصة بالسورة نجد الطوفي قد ساهم في ذلك من خلال مؤلفه إيضاح البيان عن معنى أم القرآن، حيث أنه أكد أن الفاتحة مجملة لمقاصد القرآن الكريم عموما فقال: "الفاتحة التي هي أم القرآن مشتملة على مقاصده الكلية من حيث الإجمال، ثم باقي القرآن يبين ذلك في رتبة ثانية من البيان...."3.

1 ابن القيم . بدائع التفسير الجامع لما فسره الإمام ابن قيم الجوزية، جمعه يسري السيد محمد و صالح احمد الشامي، 1/ 35-36.

2 ابن جزي، التسهيل لعلوم التنزيل، تحقيق: محمد سالم هاشم، 1/ 8 وما بعدها.

3 سليمان الطوفي، إيضاح البيان في معنى أم القرآن، 16.

## قسم: أصول الدين

ثم حاول بعد ذلك أن يذكر أوجهها مختلفة لمقاصد السورة والتي هي بدورها ليست إلا مقاصدا كلية للقرآن، فبين أنها اشتملت على مقاصد الإيمان كما أنها اشتملت من جهة أخرى على بيان الوعد، الوعيد، أحكام الحلال والحرام وذكر قصص الأولين. وقد إستطاع أن يصنف تلك المقاصد إلى قسمين : مقاصد تكميلية كذكر الأخبار والقصص في مقابل المقاصد الأخرى والتي يمكن تسميتها بالمقاصد الأصلية بالأصلية.<sup>1</sup>

كما أنه استطاع بمهارة مميزة أن يوظف مقاصد السور في تفسير بعض الأحاديث التي ميزت بعض سور القرآن بخصائص معينة فقراءة سورة الزلزلة تعدل نصف القرآن وقراءة سورة الصمد تعدل ثلث القرآن وقراءة سورة الكافرون تعدل ربع القرآن .

فقال: "...أما توجيه أن الزلزلة تعدل نصف القرآن فلاإن القرآن لا يخرج عن تقرير أمر المعاش الناس ومعادهم وهذه السورة إختصت بذكر أمر المعاد من زلزلة الأرض وإخراج أثقالها وهم الموتى، إشارة إلى البعث.... فلما إختصت بجنس نصف القرآن جاز أن يقال أنها تعدل نصف القرآن..... وأما توجيه أن قل هو الله أحد تعدل ثلث القرآن فلاإن القرآن باعتبار قسمة أخرى لا يخرج عن تقرير التوحيد و النبوة و أحكام اليوم الآخر وهذه السورة اختصت بالتوحيد، وذكره..... بهذا الاعتبار تعدل ثلث القرآن.....".<sup>2</sup>

ومن غير مخالفة لمن سبق نجد الإمام السيوطي قد إعتنى بالمقاصد القرآنية خاصة و أنه ممن اهتم بالمناسبات بين الأجزاء القرآنية و لا يخفى على الناظر تلك العلاقة الموجودة بين العلمين. ولو تركنا السيوطي يتحدث عن خدمته لتلك الفنون لقال: " إن الله سبحانه من علي بالنظر

المصدر نفسه، 17-18.

المصدر نفسه، 22-23.

## قسم: أصول الدين

في مواقع نجومه وفتح لي أبواب النظر فيه إلى استخراج ما أودع فيه من علومه، فلا أزال أسرح النظر في بساطينه من نوع إلى نوع وأستسبح الخاطر في ميادينه فيبلغ الغرض ويرجع وهو يقول لا رَوْع، فتقت عن أنواع علومه ولقبتها وأودعت ما أوعيت منها في دواوين وأعيتها. ونقبت عن معادن معانيه وأبرزتها وأوقدت عليها نار القريحة وميزتها، وألفت في ذلك جامعا ومفردا ومطنبا ومقصدا ومن خلق لشيء فإلى تيسره ومن أحب شيئا أكثر من ذكره .

وإن مما ألفت في تعلقات القرآن كتاب أسرار التنزيل الباحث عن أساليبه، المبرز أعاجيبه المبين لفصاحة ألفاظه وبلاغة تراكيبه الكاشف عن وجه إعجازه الداخلة إلى حقيقته من مجازه، المطلع على أفانيه المبدع في تقرير حججه وبراهينه فإنه اشتمل على بضع عشرة نوعا .

الأول: بيان مناسبات ترتيب سوره وحكمة وضع كل سورة منها

الثاني: بيان أن كل سورة شارحة لما أجمل في السورة التي قبلها

الثالث: وجه اعتلاق فاتحة الكتاب بخاتمة التي قبلها

الرابع: مناسبة مطلع السورة للمقصد الذي سيق له وذلك براعة الإستهلال

الخامس: مناسبة أوائل السور لأواخرها

السادس: مناسبات ترتيب آياته واعتلاق بعضها ببعض وارتباطها وتلاحمها

السابع: بيان أساليبه في البلاغة وتنويع خطاباته وسياقاته

الثامن: بيان ما اشتمل عليه من المحسنات البديعية على كثرتها كالإستعارة والكناية والتعريض والإلتفات والتورية والاستخدام واللف والنشر والطباق والمقابل وغير ذلك والمجاز بأنواعه

## قسم: أصول الدين

وأنواع الايجاز والاطناب

التاسع: بيان فواصل الآي ومناسبتها للآي التي ختمت بها

العاشر: مناسبة أسماء السور لها

الحادي عشر: بيان وجه اختيار مرادفاته دون سائر المرادفات .....

الثاني عشر: بيان القراءات المختلفة مشهورها وشاذها وما تضمنته من المعاني والعلوم فإن ذلك

من جملة وجوه إعجازه

الثالث عشر: بيان وجه تفاوت الآيات المتشابهات في القصص وغيرها بالزيادة والنقص

والتقديم والتأخير وابدال لفظة مكان أخرى ونحو ذلك.<sup>1</sup>

الملاحظ أن السيوطي رحمه الله قد ذكر في هذا النص مسالك تحليل النصوص التناسبية والتي

هي أهم خادم للمقصود القرآني .

فترتيب أجزاء السورة يدل على مقصود كلي ، كما أن اختيار الألفاظ يكون وفق مقصود محدد

سواء كانت على مستوى الفواصل أو غيره آيات أحكام أو قصص .

كم أن اسم السورة و مطلعها و خاتمها مرشدة لتناسبها ومقصودها .

<sup>1</sup> السيوطي ، أسرار ترتيب سور القرآن الكريم ، تحقيق عبد القادر عطا . 65-66 .

## قسم: أصول الدين

المحاضرة السادسة : مرحلة التأصيل والتوظيف للمقاصد القرآنية :

تقوم هذه المرحلة على التعميد لفن المقاصد القرآنية خاصة على يد الشاطبي والبقاعي بالإضافة إلى استشاره في مجالات متنوعة من الدراسات القرآنية كتوجيه المشابه وتعليل الترتيب القرآني .

الفرع الأول :اعتناء الشاطبي بمقاصد السور القرآنية :

لقد استطاع الشاطبي أن يؤسس لنا قواعد مهمة للمقاصد القرآنية انطلاقا من تكوينه الأصولي القائم على القراءة المتميزة العادلة الوسطية للنص الشرعي ، ولا يمكن بحال من الأحوال تجاهل جهوده الفذة في هذا الباب .

أولا: الاهتمام بالنظرة الكلية وبوحدة السورة :

لقد اهتم بالنظرة الكلية في القرآن الكريم سواء تعلق الأمر بالقرآن كله أو تعلق الأمر بالسورة القرآنية فعن وحدة القرآن يقول : " فإن كلام الله في نفسه كلام واحد لا تعدد فيه بوجه ولا باعتبار ، حسبما تبين في علم الكلام ، وإنما مورد البحث هنا باعتبار خطاب العباد تنزلا لما هو من معهودهم فيه ، هذا محمل احتمال وتفصيل فيصبح في الاعتبار أن يكون واحدا بالمعنى المتقدم ، و أي يتوقف فهم بعضه على بعض بوجه ما ، وذلك أنه يبين بعضه بعضا ، حتى إن كثيرا منه لا يفهم معناه حق الفهم إلا بتفسير موضع آخر أو سورة أخرى ..... فالقرآن كله كلام واحد بهذا الاعتبار " 1.

## قسم: أصول الدين

ثم نجد بعد ذلك يرجح كون أن القرآن في الحقيقة هو سور، كل سور لها مميزاتها الخاصة و التي تجعل القرآن ليس واحدا بهذا الاعتبار فيقول: "و يصح ألا يكون كلاما واحدا، وهو المعنى الأظهر فيه ، فإنه أنزل سورا مفصولا بينها معنى

و ابتداء، فقد كانوا يعرفون انقضاء السورة و ابتداء أخرى بيسم الله الرحمن الرحيم في أول الكلام .." 1 .

فالشاطبي إذن يقرر أن للسورة وحدة خاصة كما أن للقرآن وحدة كذلك كما قد يكون للآية الوحدة كذلك وتختلف أهمية كل وحدة باختلاف مقاصد القراءة الخاصة بالنص ، فإن كنا أمام قراءة تبحث في النظم والمناسبات والمعاني الكلية فلا يمكن تجاهل وحدة القرآن ، وإن كنا أمام قراءة تبحث مقاصد السورة فلا يمكن تجاهل وحدة السورة ، وإن كنا أمام قراءة أصولية وحتى مقاصدية تبحث في معاني الآيات لاقتناص حكم معين فلا بد من النظر في الآية الكاملة أو في مجموع الآيات ذات القضية الواحدة . وفي ذلك يقول الشاطبي: "فإن كلام الله في نفسه كلام واحد لا تعدد فيه بوجه و لا باعتبار ، حسبما تبين في علم الكلام ، وإنما مورد البحث هنا باعتبار وجميع ذلك لا بد فيه من النظر في أول الكلام و آخره بحسب تلك الاعتبارات فاعتبار جهة النظم مثلا في السورة لا يتم به فائدة إلا بعد استيفاء جميعها بالنظر ، فالإقتصار على بعضها فيه غير مفيد غاية المقصود ، كما أن الإقتصار على بعض الآية في استفادة حكم ما لا يفيد إلا بعد كمال النظر في جميعها" 2 .

1 المصدر نفسه ، 4 / 274-275

2 . المصدر نفسه ، 3 / 250

## قسم: أصول الدين

كما نجد أنه رحمة الله عليه يقسم السور القرآنية باعتبار النظرة الكلية المقاصدية إلى سور أحادية القضية و أخرى متعددة القضايا وفي ذلك يقول: "فالكلام المنظور فيه تارة يكون واحدا بكل اعتبار، بمعنى أنه أنزل في قضية واحدة طالت أو قصرت وعليه أكثر سور المفصل ، وتارة يكون متعددا في الاعتبار، بمعنى أنه أنزل في قضايا متعددة ، كسورة البقرة و آل عمران ، والنساء و اقرأ باسم ربك و أشباهها، و لا علينا أنزلت السورة بكماها دفعة واحدة أم نزلت شيئا بعد شيء" 1.

"المساقات تختلف باختلاف الأحوال و الأوقات و النوازل وهذا معلوم في علم المعاني و البيان ، فالذي يكون على بال من المستمع و المتفهم الالتفات إلى أول الكلام و آخره ، بحسب القضية و ما اقتضاه الحال فيها ، لا ينظر إلى أول الكلام و آخره ، بحسب القضية و ما اقتضاه الحال فيها، لا ينظر إلى أولها دون آخرها ، ولا في آخرها دون أولها ، فإن القضية و إن اشتملت على جمل فبعضها متعلق ببعض ، لأنها قضية واحدة نازلة في شيء واحد ، فلا محيص للمتفهم عن رد آخر الكلام على أوله ، وأوله على آخره ، و إذ ذاك يحصل مقصود الشارع في فهم المكلف، فإن فرق النظر في أجزائه فلا يتوصل به إلى مراده" 2.

فالشاطبي إذن يحذر من القراءة التبعية للنص القرآني القائمة على تشطيره فبالنظر إلى أول السورة دون آخرها أو إلى آخرها دون أولها. إلا في موضع واحد جاء النظر إلى الجزء دون اعتبار الكل وهي القراءة اللغوية التي تبحث في المعنى الظاهري دون البحث عن مراد الله عز وجل. إلى جانب ما سبق سابقا حول احتفاء الشاطبي بالنظرة الكلية في القرآن الكريم

1 المصدر نفسه، 3/ 375

2 المصدر نفسه، 3/ 375

## قسم: أصول الدين

وباهتمامه بالسورة وبوحدتها النظمية والمعنوية القائمة سواء كانت بسيطة في قضية واحدة تصب في معنى واحد أو قضايا متعددة قد يجد المتأمل بينها قدر مشترك يحقق معنى واحد بينها . فقد تصلح بعض القضايا في السورة الواحدة أن تكون مقدمات وتمهيدات للمقصود ، كما تصلح قضايا أخرى أن تكون تأكيدات وخواتم للمعنى المقصود . وفي ذلك يقول الشاطبي في مثال ساقه عن سورة البقرة باعتبارها سورة متعددة القضايا : "واحتوت على أنواع من الكلام بحسب ما يثبت فيها ، منها ما هو كالمقدمات و التمهيدات بين يدي الأمر المطلوب ، ومنها ما هو كالمؤكد و المتمم ، ومنها ما هو المقصود في الإنزال و ذلك تقرير الأحكام على تفاصيل الأبواب ، و منها الخواتم العائدة على ما قبلها بالتأكيد و التثبيت و ما أشبه ذلك " 1.

ثانيا : التأسيس لضوابط تفسيرية تحقق مراد الباري عز وجل :

لقد استطاع الشاطبي أن يرشدنا لضوابط القراءة الراشدة و التي من غاياتها الكشف عن المقصود دون شطط الباطنية ودون جمود الظاهرية ، فقد أشاد بالمقام بكونه منظومة قائمة بذاتها تتكون من قسمين : قسم يخدم النص داخليا و قسم يخدم النص خارجيا . ويمكن أن نطلق على الأول السياق الداخلي أو البنيوي ، و على الثاني السياق الخارجي .

يقول الشاطبي في أسباب النزول هي من ضمن سياق الحال : "معرفة أسباب النزول لازمة لمن أراد علم القرآن و الدليل على ذلك أمران : أحدهما : أن علم المعاني و البيان الذي يعرف به إعجاز نظم القرآن فضلا عن معرفة مقاصد كلام العرب إنما مداره على معرفة مقتضيات الأحوال ..... و معرفة الأسباب رافعة لكل مشكل في هذا النمط فهي من المهمات في فهم

## قسم: أصول الدين

الكتاب بلا بد ، ومعنى معرفة السبب هو معنى معرفة مقتضى الحال و ينشأ عن هذا الوجه الوجه الثاني :وهو أن الجهل بأسباب النزول موقع في الشبه و الإشكالات ..... "1

كما نجده رحمة الله عليه قد اعتنى بظروف التنزيل فبين تلك الفوارق الناتجة من تمايز القرآن المكي والمدني بسبب تباين الأمكنة والأزمنة .يقول في تفسيره لسورة المؤمنون : "سورة المؤمنون نازلة في قضية واحدة ، وإن اشتملت على معان كثيرة فإنها من المكيات ، وغالب المكي أنه مقرر لثلاثة معان أصلها معنى واحد ، وهو الدعاء إلى عبادة الله تعالى أحدها تقرير الوجدانية لله تعالى الواحد الحق :غير أنه يأتي على وجوه ...و الثاني :تقرير النبوة للنبي محمد صلى الله عليه وسلم و أنه رسول الله إليهم جميعا صادق فيما جاء به من عند الله ، إلا أنه وارد على وجوه أيضا ....والثالث :إثبات أمر البعث و الدار الآخرة ....فهذه المعاني الثلاثة هي التي اشتمل عليها المنزل من القرآن في مكة في عامة الأمر...."2 .

### ثالثا : الإشادة بقاعدة بناء المدني على المكي :

"المدني من السور ينبغي أن يكون منزلا في الفهم على المكي وكذلك المكي بعضه مع بعض ،والمدني بعضه مع بعض على حسب ترتيبه في التنزيل ،و إلا لم يصح ، والدليل على ذلك أن معنى الخطاب المدني في الغالب مبني على المكي ، كما أن المتأخر من كل واحد منهما مبني على متقدمه ، دل على ذلك الاستقراء و ذلك إنما يكون ببيان مجمل أو تخصيص عموم أو تقييد مطلق أو تفصيل ما لم يفصل أو تكميل ما لم يظهر تكميله و أول شاهد على هذا أصل الشريعة، فإنها جاءت متممة لمكارم الأخلاق ومصلحة لما أفسد قبل من ملة إبراهيم ن و يليه تنزيل

1 المصدر نفسه، 4/ 146

2 المصدر نفسه، 3/ 269.

## قسم: أصول الدين

سورة الأنعام فإنها نزلت مبينة لقواعد العقائد ، وأصول الدين.... ثم لما هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى المدينة ، كان من أول ما نزل عليه سورة البقرة وهي التي قررت قواعد التقوى المبنية على قواعد سورة الأنعام ، فإنها بينت من أقسام أفعال المكلفين جملتها كالعبادات التي هي قواعد الإسلام ، والعبادات من أصول المأكل والمشروب وغيرهما ، والمعاملات من البيوع والأنكحة ، وما دار بها ، والجنايات من أحكام الدماء ، وما يليها "1.

رابعا: الاعتناء ببعض عادات القرآن :

من العادات القرآنية الخادمة لمقاصد السور القرآنية نجد ما ذكره الشاطبي من إيراد القصص النبوي بما يحقق مقاصد السورة خاصة ، يقول الشاطبي : " وبالجملة فحيث ذكر قصص الأنبياء عليهم السلام ، كنوح وهود ، ولوط وشعيب وموسى وهارون فإنما ذلك تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتثبيت لفؤاده لما كان يلقي من عناد الكفار ، وتكذيبهم له على أنواع مختلفة ، فتذكر القصة على النحو الذي يقع له مثله ، وبذلك اختلف مساق القصة الواحدة بحسب اختلاف الأحوال والجميع حق واقع لا إشكال في صحته "2.

و من العادات كذلك إيراد الترغيب والترهيب بما يوافق مقصود السورة وقد يغلب جانب على جانب على وفق ما يقتضيه الحال قال الشاطبي : " وقد يُغلب أحد الطرفين بحسب المواطن ، مقتضيات الأحوال ، فيرد التخويف ، ويتسع مجاله ، لكنه لا يخلو من الترجية ، كما في

1 المصدر نفسه، 2/ 244

2 المصدر نفسه ، 4/ 274.

## قسم: أصول الدين

سورة الأنعام فإنها جاءت مقررة للحق و منكرة على من كفر بالله ،..... و هذا المعنى يقتضي التخويف و إطالة التأنيب والتعنيف ، فكثرت مقدماته و لواحقه " 1 .

إن الشاطبي عموما استطاع أن ينقل المقاصد القرآنية من قراءة المفسرين إلى قراءة تعويدية تأصيلية قائمة على ضبط شروط استنباط المعاني القرآنية من خلال الدعوة إلى النظرة الكلية في السورة ، وكذا الاهتمام بأسباب النزول و المكّي والمدني ، دون إهمال عادات القرآن الكريم الخادمة لمقاصد السورة كما أنه قام بتنزيل تلك القواعد واستثمرها في بيان معاني السور القرآنية كسورة المؤمنون التي دعا الناظر لأن يسير على منهجه في بيان مقاصد السور .

### الفرع الثاني: يعد ابن الزبير الغرناطي:

من أوائل من استعمل المصطلح القرآني مقصد سواء تعلق بالسورة أو بمقصد أو بالآية ومن أبرز من استثمر المقاصد القرآنية في تحليل الترتيب بين السور ،نجده يقول مثلا في تحليل التناسب بين النور والفرقان: "ثم تناسج الكلام والتحم جليل المقصود من ذلك النظام . " 2 ونجده يقول في موضع آخر من سور الأحزاب "وختم السورة بذكر التوبة والمغفرة أوضح شاهد لما تمهد من دليل قصدها وبيّانها على ما وضع والحمد لله ولما كان حاصلها رحمة ولطفا ونعمة لا يقدر عظيم قدرها، وينقطع العالم دون الوفاء بشكرها أعقب بما ينبغي من الحمد – أول سبأ- " 3 .

1 المصدر نفسه ، 4 / 170

2 ابن الزبير ، البرهان في ترتيب سور القرآن ، 261

3 المصدر نفسه ، 283

## قسم: أصول الدين

كما أننا نجده يعبر عن المقصود باستعمالات كثيرة أدت إلى التنوع المصطلحي كقوله بناء السورة ، التناسق و التناجح وغيره.....يقول مثلا في سورة الطلاق : "...الأوامر التي دارت عليها هذه السورة وبنيت عليها ثلاثة ، الأول : الأمر بالمحافظة على إيقاع الطلاق إذ ضمت إليه الضرورة في وقته لاستقبال العدة حتى لا يقع إضرار بالمطلقة بتطويل عدتها والثاني : الأمر بإحصاء العدة والمحافظة عليها .... والثالث : إنفاذ ما يقع الاعتماد عليه في إمساك أو مفارقة من حسن الصحبة وجميل العشرة إن اعتمد الإمساك .... أو بالإمتاع والتلطف ... إن عول على المفارقة فعلى هذه القضايا الثلاث بناء هذه السورة"<sup>1</sup>

المستقرء لكتابي ملاك التأويل وكتاب البرهان في ترتيب سور القرآن يجد ابن الزبير قد اعتمد منهجا واضح القواعد ، حيث أنه في البرهان سعى لتعليل ترتيب السور القرآنية يقول : "فاقتصرت بحكم الاضطرار في هذا الاختصار على توجيه ترتيب السور" وفي تعليقه للترتيب كثيرا ما كان يعتمد على مقاصد السور القرآنية وعلى ما يسمى بالتناسب المعنوي بين السور لا التناسب اللفظي فينطلق من بيان أغراض السورة الأولى ليصل لأغراض السورة الثانية ثم يثبت التناسب بينها، قال مثلا : "ولما كان الوارد من هذا الغرض في سورة الممتحنة قد جاء عن طريق الوصية وسبيل النصح والإشفاق ، أتبع في سورة الصف بصريح العتب في ذلك والإنكار ليكون ذكره بعد ما تمهد في السورة قبل أوقع في الزجر."<sup>2</sup>

وكثيرا ما يكون التناسب على أساس المقصود فكم من سورة أثبت أنها متحدة المقصود مع سور أخرى : "لا خفاء بشدة اتصال هذه السورة -التحريم- بسورة الطلاق لإتحاد مرماه

<sup>1</sup> ابن الزبير ، ملاك التأويل . 477 .

<sup>2</sup> ابن الزبير ، البرهان في ترتيب سور القرآن ، 335 .

## قسم: أصول الدين

وتقارب معناهما....." ثم يواصل توجيهه لترتيب السورتين ليصل في الأخير لربط السورتين بسورة الأنفال على أساس التحام مقاصدها فيقول: "هذه السورة وسورة الطلاق أقرب شيء و أنسبه لسورة الأنفال لتقارب المعاني و التحام المقاصد"<sup>1</sup>.

### الفرع الثالث: مساهمة أبي الفضل المشدالي البجائي الجزائري في التعميد للتقصيد القرآني

المشدالي عالم من علماء الجزائر ولد ببجاية لأسرة علمية جاب البلاد فإرتحل إلى تلمسان وهناك إلتقى عددا من المشايخ و العلماء في مقدمتهم ابن مرزوق الحفيد<sup>2</sup> الذي قال عنه: " قال ما عرفت العلم حتى قدم علي هذا الشاب، فقبل كيف؟ قال لأنني كنت أقول فيسلم كلامي فلما جاء ذا شرع ينازعني فشرعت أتحرز وانفتحت لي أبواب من المعارف أو نحو هذا"<sup>3</sup> ثم عاد إلى الشرق الجزائري فدرس بعنابة و قسنطينة و دخل تونس و تصدر المجالس هناك، من تونس ركب البحر ليصل إلى قبرص ثم بلاد الشام و القدس، ليحج سنة 849 هـ و من

<sup>1</sup> المصدر نفسه، 340

<sup>2</sup> هو الحافظ المحدث المسند المفسر أبو عبد الله محمد بن أحمد بن محمد بن محمد بن أبي بكر بن مرزوق العجيسي التلمساني، عرف بالحفيد، برع في العلوم العقلية والنقلية، ولد سنة 766 هـ، ومات سنة 842 هـ بتلمسان، قال عنه تلميذه ولي الله الثعلبي: " أجمع الناس من المغرب إلى الديار المصرية على فضله لا أعلم نظيره في وقته"، ينظر أحمد بابا التبكتي، نيل الإبتهاج بتطريز الديباج، ت: عبد الحميد الهرامة، ص: 503، وينظر ابن مريم، البستان في الأولياء و العلماء بتلمسان، 201 و مابعدا.

<sup>3</sup> السخاوي، الضوء اللامع لأهل القرن التاسع، 9/182، لقد نقل السخاوي بعض العيوب في شيخنا، غير أن الشوكاني يرد بقوله: " و قد رام السخاوي رحمه الله مناقضة البقاعي فيما وصف به صاحب الترجمة و لعل الحامل له على ذلك ما بينه و بين البقاعي من العداوة" ينظر الشوكاني، البدر الطالع بمحاسن من بعد القرن السابع،

## قسم: أصول الدين

تم ذهب إلى القاهرة ، حيث جلس لتدريس الفقه المالكي، كان بارعا في علم المنطق و الفقه و التفسير و الأصول و غيرها من العلوم . مات سنة 846هـ في الأربعينات من عمره ببلاد عنتاب . لم يترك الشيخ مدونات كثيرة و لعل ذلك يعود لموته في سن العطاء العلمي و لكثرة تجواله و رحلاته ، من التأليف نجد شرحه على جمل الخونجي ، وقد أبدع في شرحه إنطلاقا من المنهج الذي رسمه القائم على النظر " في شروحها لابن واصل الحموي ، و الشريف التلمساني ، وسعيد العقباني ، وابن الخطيب القشبنليني و ابن مرزوق ، فما أجمعوا عليه ساق معناه و كذا ما زاده أحدهم و ما اختلفوا فيه ذكر ما رأى أنه الحق كل ذلك بعبارة بيتكرها ثم تم ذلك بما وقع للمتقدمين من علماء المسلمين فمن قبلهم في تلك المسئلة مما يرى أنه محتاج إليه من التحقيقات" 1 .

لقد كان لأبي الفضل المشدالي مشاركة مهمة في علم مقاصد السور القرآنية من خلال تقييده لمنهج النظر في السورة القائم على ضبط العلائق بين مقدمات السورة و بين غرضها المنشود . ويصرح البقاعي بمشاركة شيخه في هذا الفن المبتكر فيقول : " قال شيخنا الإمام المحقق أبو الفضل محمد بن العلامة القدوة أبي عبد الله محمد ابن العلامة القدوة أبي القاسم محمد المشدالي المغربي البجائي المالكي علامة الزمان سقى الله عهده سحائب الرضوان وأسكنه أعلى الجنان : الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنك تنظر الغرض الذي سيقته له السورة ، وتنظر ما يحتاج إليه ذلك الغرض من المقدمات وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب ، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة شفاء العليل

## قسم: أصول الدين

بدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف عليها ، فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن ، وإذا فعلته تبين لك إن شاء الله وجه النظم مفصلا بين كل آية و آية في كل سورة سورة والله الهادي "1.

هاته القاعدة لم تصلنا إلا عن طريق البقاعي فقد نقلها في كتابه نظم الدرر ، و قد صرح بتفرده بسماها عنه فقال " : القاعدة التي افتتحت بها كتابي عن الشيخ أبي الفضل المغربي رحمه الله لم يسمعها منه غيري " 2، و نجد أن القاعدة نقلها السخاوي حينما ترجم لأبي الفضل البجائي ، و كذا الشوكاني حينما ترجم للبقاعي . كما يذكرها السيوطي رحمه الله دون أن ينسبها لصاحبها 3. حتى نجد أن الكثير من الباحثين ينسبون القاعدة للسيوطي نفسه .

### الفرع الرابع : مساهمة البقاعي في فن مقاصد القرآن :

لقد نقلنا البقاعي من مرحلة كون أن مقاصد القرآنية الكشف عنها غرض ثانوي إلى مرحلة جديدة جعلت مقاصد السور القرآنية غرضا أساسيا للمؤلفين .

فيعد رحمة الله عليه من أهم المفسرين الذين اعتنوا بعلم مقاصد السور القرآنية فقد استفاد من تجربته العظيمة في ميدان علم المناسبة القرآنية ، حيث أنه استطاع أن يقعد لنا قواعد خاصة متعلقة بعلم مقاصد السور انطلاقا من فن التناسب ترك لنا مصادر مهمة في هذا المجال أهمها نظم الدرر ومساعد النظر للإشراف على مقاصد السور .

1 البقاعي ، نظم الدرر، 1/ 17-18 .

2 البقاعي ، مساعد النظر، 1/ 137 .

3 السيوطي ، الإتقان في علوم القرآن، 2/ 217 .

## قسم: أصول الدين

و لقد استطاع أن يؤسس لعلم مقاصد السور القرآنية وذلك من خلال التدليل عليه أولا ومن خلال إرسائه لمجموعة من المسالك التي من شأنها أن تكشف عن مقصود السورة القرآنية فيما يلي نحاول تفصيل ما أجمل .

لقد عرف البقاعي علم مقاصد السور فقال: "علم يعرف منه مقاصد السور ، و موضوعه آيات سور ، كل سورة على حالها، وغايته معرفة الحق من تفسير كل آية من تلك السورة ، ومنفعته التبخر في علم التفسير فإنه يثمر التسهيل له و التيسير ، ونوعه التفسير ، ورتبته أوله، فيشتغل به قبل الشروع فيه فإنه كمقدمة له من حيث إنه كالتعريف ، لأنه معرفة تفسير كل سورة إجمالاً .<sup>1</sup>

أقسامه: السور ، وطريقة السلوك في تحصيله جمع جميع فنون العلوم ، و أقل ما يكفي من علمه مقدمة تعرف باصطلاح أهله وما لا بد من مقاصده ولا سيما علم السنة ."<sup>2</sup>

من خلال إستقراء كتب البقاعي خاصة نظم الدرر و مصاعد النظر نجد أن مقاصد السور القرآنية تظهر على مستويات فهي مرة تخدم وحدة السورة القرآنية ، أو توجيه التناسب بين الآيات داخل السورة الواحدة. كما أنها تخدم من جهة أخرى وحدة القرآن الكريم من خلال توجه ترتيب السور القرآنية على أساس بنائها على بعضها البعض . سنحاول بيان ذلك من خلال العناصر التالية:

أولا : كيف يكشف البقاعي عن مقصود السورة :

<sup>1</sup> البقاعي ، نظم الدرر ، المقدمة .

<sup>2</sup> البقاعي ، نظم الدرر ، المقدمة .

## قسم: أصول الدين

قبل الحديث عن مسلك الكشف عن المقاصد القرآنية عند البقاعي لا بد من التمهيد للمقصود بما يلي:

البقاعي يثبت في تنايا كتبه أن لكل سورة مقصود فيقول: "كلّ سورة لها مقصد واحد يدار عليه أولها وآخرها ، ويستدلّ عليها فيها، فترتب المقدمات الدّالة عليه على أتقن وجه وأبدع نهج وإذا كان فيها شيءٌ يحتاج إلى دليل استدلّ عليه ، وهكذا في دليل الدليل ، وهلمّ جرّاً ، فإذا وصل الأمر إلى غايته ختم بما منه كان ابتداء ، ثم انعطف الكلام إليه ، وعاد النظر عليه، على نهج بديع ومرقى غير الأول منيع ، فتكون السورة كالشجرة النضيرة العالية والدوحة البهيجة الأنيقة الحالّة المزينة بأنواع الزينة المنظومة بعد أنيق الورق بأفنان الدرّ وأفنانها منعطفة إلى تلك المقاطع كالدوائر، وكلّ دائرة منها لها شعبة متصلة بما قبلها ، وشعبة ملتحمة بما بعدها ، وآخر السورة قد واصل أولها كما لاحم انتهاؤها ما بعدها ، وعانق ابتداؤها ما قبلها ، فصارت كلّ سورة كدائرة كبرى مشتملة على دوائر الآيات الغرّ البديعة النظم العجيبة الضمّ بلين تعاطف أفنانها وحسن تواصل ثمارها وأغصانها" 1

فلكل سورة مقصد تحقّقه آياتها المختلفة وهذا المقصود يدل على تلك المقدمات التي تساق في أول السور وتلك الخواتم التي تختم بها السورة بالإضافة إلى إنجرار الكلام .

لقد استطاع البقاعي أن يصل إلى ما وصل إليه عن طريق إستعمال قاعدة مهمة علمه إياها شيخه أبو الفضل المشدالي يقول البقاعي .

ثانيا : مسالك الكشف عن مقاصد السور :

## قسم: أصول الدين

للبقاعي مسالك عديدة للكشف عن مقصود السورة القرآنية تظهر للمتأمل بمجرد الإطلاع على تفسيره لبعض السور في نظم الدرر ولو تتبع الناظر باقي السور لوجده لا يجيد عن ذلك المنهج المنتخب للدلالة على مقصود السورة نجمله فيما يلي :

### تحقيق مقصود السورة من خلال إسمها:

لقد ساهم البقاعي في إرساء قاعدة مهمة للدلالة عن مقصود السورة فقد ظهر له في السنة العاشرة من تأليف كتابه نظم الدرر أن إسم كل سورة في القرآن هو مترجم عن مقصودها وفي ذلك قال :

"أن اسم كل سورة مترجم عن مقصودها ؛ لأن اسم كل شيء تظهر المناسبة بينه وبين مسماه عنوانه الدال إجمالاً على تفصيل ما فيه ، وذلك هو الذي أنبأ به "آدم" عند العرض على الملائكة عليهم الصلاة والسلام "1.

سورة النحل مثلاً "مقصودها الأعظم : التدليل بنعم الله على وحدانيته وكمال علمه وقدرته واختياره وتنزهه عن شوائب النقص: وأدل ما فيها على هذا المعنى أمر النحل لما ذكر من أمرها من دقة الفهم في ترتيب بيوتها ورعيها وسائر أمرها من اختلاف ألوان ما يخرج منها من أعسالها وجعله شفاء مع أكلها من الثمار النافعة والضّارة وغير ذلك من الأمور . ووسمها بالنعم واضح في ذلك والله أعلم "2. وفي حالة تعدد أسماء السورة الواحدة فإنك تجده يحصيها ثم يبرز القدر المشترك بينها والذي بدوره يكون دالاً على مقصود السورة .

1 البقاعي ، ، نظم الدرر ، 1 / 18

2 البقاعي ، المصدر السابق 1 / 111 .

## قسم: أصول الدين

### الاسترشاد بآيات من السورة:

يعتمد البقاعي هنا على مسلك ظواهر النصوص للدلالة على مقصود السورة سواء كانت تلك الآيات من مطالع السورة أو من أواسطها وهذه بعض النماذج لذلك. يقول البقاعي في مطلع سورة الفتح: " مقصودها مدلول اسمها الذي يعم فتح مكة وما تقدمه من صلح الحديبية وفتح خيبر ونحوهما ، وما وقع تصديق الخبر به

من غلب الروم على أهل فارس وما تفرع من فتح مكة المشرفة من إسلام أهل جزيرة العرب وقتال أهل الردة وفتوح جميع البلاد الذي يجمعه كله إظهار الدين على الدين كله ، وهذا كله في غاية الظهور بما نطق ابتداءً وأثناءً في مواضع. "1

### الاسترشاد بمطالع السور وخواتمها:

استطاع البقاعي أن يوظف العلاقات الموجودة بين الآيات القرآنية خاصة ترتيب أوائل السور على خواتم ما قبلها و أواخر السورة على أولها في بيان مقصود السورة القرآنية .  
"مقصودها تحقيق وقوع العذاب الذي هو مضمون الوعيد المقسم على وقوعه في الذاريات ..... لما ختمت الذاريات بتحقيق الوعيد ،أفتحت هذه -أي الطور- بإثبات العذاب الذي هو روح الوعيد"2

### الاعتناء بمقاصد السور على مستوى أكثر من سورة :

لقد أثبت البقاعي أن للقرآن الكريم مقصود أعظم تصب فيه جميع مقاصد السور القرآنية ومنه تتناسل و عليه تبني " ينظر الإمام البقاعي و منهاجه في التأويل " .

1 البقاعي ،المصدر السابق،7/ 183

2 المصدر نفسه،7/ 291

## قسم: أصول الدين

لقد استطاع البقاعي أن يحرر هذا المقصود في بداية نظم الدرر وهو يفسر سورة الفاتحة التي تعد عند الكثير من العلماء أصل لجميع مقاصد السور القرآنية ف" ما من شيء من مقاصده إلا وهو تابع لها فهي له أصل "1 .

قال البقاعي: " المقصود من إرسال الرسل ، وإنزال الكتبِ نصبُ الشرائعِ ، والمقصود من نصبِ الشرائعِ جمع الخلق على الحق ، والمقصود من جمعهم تعريفُهُم الملكَ وبما يُراضيه ، وهو مقصود القرآن ، الذي انتظمته " الفاتحة " بالقصد الأول ، ولن يكون ذلك إلا بما ذكر علماء وعملا "2

بعدما أثبت البقاعي أن سورة الفاتحة قد إشتملت على المقصود الأعظم نجده بعد ذلك يثبت في كل بداية تفسير أي سورة مقصودها ويربطه بما سبق . يقول مثلا في سورة آل عمران : " المقاصد التي سيقت لها هذه السورة إثبات الوحدانية لله وإخبار بأن رئاسة الدنيا بالأموال والأولاد وغيرهما مما آثره الكفار على الإسلام غير مغنية عنهم شيئا في الدنيا ، ولا في الآخرة ، وأن ما أعد للمتقين من الجنة والرضوان هو الذي ينبغي الإقبال عليه والمسارة إليه وفي وصف المتقين بالإيمان والدعاء والصبر والصدق والقنوت والإنفاق والاستغفار ما يتعطف عليه كثير من أفانين أساليب هذه السورة ، هذا ما كان ظهري أولاً .

وأحسنُ منه أن نخصَّ القصدَ الأول وهو التوحيد بالقصد فيها ، فإنَّ الأمرين الأخيرين يرجعان إليه ، وذلك لأنَّ الوصف بالقيومية يقتضي القيام بالاستقامة ، فالقيام يكون على كلِّ نفسٍ ، والاستقامة العدلُ ، وهذا الوجه أوفق للترتيب ، لأنَّ الفاتحة لما كانت جامعةً للدين

1 البقاعي ، مصاعد النظر / 1 / 473

2 البقاعي ، نظم الدرر ، 1 / 21

## قسم: أصول الدين

إجمالاً جاء ما به التفصيلُ محاذياً لذلك ، فابتدئ بسورة الكتاب -البقرة- المحيط بأمر الدين ، ثم بسورة التوحيد -آل عمران- الذي هو سرُّ حرف " الحمد " ، وأوّل حروف الفاتحة ، لأنّ التوحيد هو الأمر الذي لا يقوم بناءً إلاّ عليه ، ولما صحَّ الطريقُ ، وثبت الأساسُ جاءت التي بعدها - النساء - داعيةً إلى الاجتماع على ذلك. "1.

### ثالثاً استثمار البقاعي لمقاصد السور القرآنية :من خلال مقاصد السور

القرآنية استطاع البقاعي أن يؤسس لنظريته في التناسب القرآني كما أنه إستطاع أن يضع بعض أسس نظرية الوحدة القرآنية في السورة أو في القرآن الكريم ككل . هذا على مستوى الكلي أما على المستوى الجزئي نجد أنه استطاع أن يوظف هذا العلم في العملية التأويلية فيه وجه المتشابه اللفظي وبه تم كذلك توجيه اختلاف القصص القرآني ، حتى أن البسملة إستطاع أن يفسرها في أول كل سورة وفق مقصود تلك السورة.

## قسم: أصول الدين

### المحاضرة السادسة : المرحلة التجديدية المعاصرة :

من رواد هاته المرحلة نجد كلا من الفراهي وعبد الله دراز ، وسيد قطب و الطاهر بن عاشور وغيرهم ، فكل واحد منهم كانت له مشاركة تجديدية في ميدان مقاصد السور القرآنية فالفراهي أبدع نظرية النظام و عبد الله دراز استطاع أن يقدم نموذجا تطبيقيا لوحدة سورة من سور القرآن وهي سورة البقرة أما سيد قطب حاول أن يؤكد في كل مرة الوحدة السياقية للسورة القرآنية . 1

### مساهمة الفراهي في علم مقاصد السور القرآنية :

إن علم النظام الذي ابتكره الفراهي هو في نظره علم جامع ليس كعلم المناسبة الذي يقتصر على ذكر المناسبات بين الآيات والآيات أو بين السور والسور فيقول في ذلك: " قد صنف بعض العلماء في تناسب الآي والسور ، وأما الكلام في نظام القرآن ، فلم أطلع عليه ، والفرق بينهما : أن التناسب إنما هو جزء من النظام ، فإن التناسب بين الآيات بعضها مع بعض لا يكشف عن كون الكلام شيئا واحداً مستقلاً بنفسه ، وطالب التناسب ربما يقنع بمناسبة ما ، فربما يغفل عن المناسبة التي ينتظم بها الكلام فيصير شيئاً واحداً ، وربما يطلب المناسبة بين الآيات المتجاورة مع عدم اتصالها ، فإن الآية التالية ربما تكون متصلة بالتي قبلها على بُعد منها...." 2.

1 الفراهي ، دلائل النظام ، 75

2 المرجع نفسه ، 76

## قسم: أصول الدين

ولمعرفة نظام السورة القرآنية يعمد الفراهي إلى استخراج عمودها والذي عرفه بقوله: "هو جماع مطالب الخطاب والمقصود منه. فليس من أجزائه الترتيبية ولكنه يسري فيه كالروح..... فلا يطلع عليه إلا بعد اسيفاء الكلام والتدبر فيه".<sup>1</sup>

المتأمل إذن في كتاب دلائل النظام يجد أن الفراهي قد أشار إلى مجموعة من القواعد تصلح لأن تكون ضوابط معينة للكشف عن عمود السورة، الذي هو في الحقيقة المقصود الكلي للسورة القرينية الذي يجمع مطالبها المختلفة و لتحصيله لا بد من إمعان النظر، وكثرة التدبر وقد صرح الفراهي بصعوبة تحصيله فقال: "اعلم أن تعيين عمود السورة، هو إقليد لمعرفة نظامها ولكنه أصعب المعارف ويحتاج إلى شدة التأمل والتمحيص وترداد النظر في مطالب السورة المتماثلة والمتجاورة، حتى يلوح العمود كفلق الصبح فيضيء به السورة كلها ويتبين نظامها وتأخذ كل آية محلها الخاص".<sup>2</sup>

ومرد صعوبة تعيين العمود هو طبيعة القرآن الكريم بحيث أنه نزل "متشابهًا مثاني فترى سورا متشابهة المطالب مع اختلاف عمدتها ومتحدة العمد مع إختلاف المطالب" كما أنه نزل بالحكمة التي لا يمكن أن تحصل إلا بإعمال الفكر والعقل.<sup>3</sup>

مساهمة عبد الله دراز في خدمة المقاصد القرآنية :

لقد استطاع عبد الله دراز أن يأتي بالجديد في مجال مقاصد السور القرآنية، كيف لا وقد نهل من معين الشاطبي رحمة الله عليه حين حقق الموافقات، فكثيرا ما يؤكد على ضرورة النظر الكلي في

1 المرجع نفسه، 73.

2 المرجع نفسه، 77.

3 المرجع نفسه، 78-79.

## قسم: أصول الدين

السورة القرآنية فيقول: "تقرأ السورة الطويلة المنجمة يحسبها الجاهل أضعافا من المعاني حشيت حشوا، وأوزاعا من المباني جمعت عفوا فإذا هي لو تدبرت بنية متماسكة قد بنيت من المقاصد الكلية على أسس وأصول، وأقيم على كل أصل منها شعب وفصول، وامتد من كل شعبة منها فروع تقصر أو تطول: فلا تزال تنتقل بين أجزائها كما تنتقل بين حجرات وأفنية في بنيان واحد قد وضع رسمه مرة واحدة، بل إن السورة لتلتحم معانيها التحام الأعضاء في جسم الإنسان، فمن وراء معانيها كلها يسري في جملة السورة اتجاه معين، وتؤدي بمجموعها غرضا واحدا، كما يأخذ الجسم قواما واحدا، ويتعاون بجملته على أداء غرض واحد مع اختلاف وظائفه العضوية" 1.

و يقول في موضع آخر: "أن السياسة الرشيدة في دراسة النسق القرآني تقضي بأن تعرض السورة عرضا واحدا يرسم به خط سيرها إلى غايتها، ويبرز به وحدة نظامها المعنوي في جملتها، لكي ترى في ضوء هذا البيان كيف وقعت كل حلقة في موقعها من تلك العظمى... 2".  
مساهمة ابن عاشور في المقاصد القرآنية:

من مشاركات الطاهر بن عاشور في علم مقاصد السور القرآنية نجد تأكيده للمقصد الكلي للقرآن الكريم وكذا ما يتفرع عنه من مقاصد عامة له، يقول ابن عاشور: "إن القرآن أنزله الله تعالى كتابا لصالح أمر الناس كافة رحمة لهم لتبليغهم مراد الله منهم 3. قال تعالى ﴿وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ<sup>ط</sup> وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَيَّ هَؤُلَاءِ<sup>ج</sup>

1 عبد الله دراز، النبأ العظيم، 155.

2 المرجع نفسه، 158.

3 الطاهر بن عاشور، التحرير والتنوير، 40/1.

## قسم: أصول الدين

وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ ﴿٨٩﴾

[ النحل 89 ]

ثم نجده بعد ذلك يفصل ذلك المقصود فيقول " كان المقصد الأعلى منه صلاح الأحوال الفردية والجماعية والعمرائية ، فالصلاح الفردي يعتمد تهذيب النفس وتزكيتها ، ورأس الأمر فيه صلاح الاعتقاد ، لأن الاعتقاد مصدر الآداب والتفكير ، ثم صلاح السريرة الخاصة وهي العبادات الظاهرة كالصلاة والباطنة كالتخلق بترك الحسد والحقد والكبر. أما الصلاح الاجتماعي فيحصل أولاً من الصلاح الفردي إذ الأفراد أجزاء المجتمع ولا يصلح الكل إلا بصلاح أجزائه ..... أما الصلاح العمراني فهو أوسع من ذلك إذ هو حفظ نظام العالم الإسلامي ضبط تصرف الجماعات والأقاليم بعضهم مع بعض على وجه يحفظ مصالح الجميع ، ورعي المصالح الكلية الإسلامية ، وحفظ المصلحة الجامعة عند معارضة المصلحة القاصرة ، ويسمى هذا بعلم العمران وعلم الاجتماع " 1.

ثم نجده قد قسم المقاصد القرآنية إلى عدة أنواع ذكرها في المقدمة الرابعة من تفسيره التحرير والتنوير بعنوان : "المقاصد الأصلية التي جاء القرآن لتبينها "

إصلاح الاعتقاد ، تهذيب الأخلاق ، التشريع ، صلاح الأمة وحفظ نظامها القصص وأخبار الأمم ، التعليم بما يناسب حالة عصر المخاطبين ، المواعظ والإنذار والتحذير والتبشير ، الإعجاز بالقرآن . 2.

1 المرجع نفسه ، 1 / 38

2 المرجع نفسه ، 1 / 175 وما بعدها

## قسم: أصول الدين

و من إبداعات الطاهر بن عاشور الإعتناء بالسورة كوحدة قرآنية فقد أجاد حين عرفها فقال:  
"السورة قطعة من القرآن معينة بمبدأ ونهاية لا يتغيران ، مسماة باسم مخصوص ، تشتمل على  
ثلاث آيات فأكثر في غرض تام ترتكز عليه معاني آيات تلك السورة ، ناشئ عن أسباب  
النزول ، أو عن مقتضيات ما تشتمل عليه من المعاني المتناسبة ."  
إن هذا التعريف الذي تفرد به الطاهر بن عاشور في بعض جزئياته خاصة تلك المتعلقة  
بمقاصد الشريعة الإسلامية حيث أنه أكد على اجتماع أي السورة على معاني مشتركة تدل عليها  
مسالك مقامية بعضها داخلي كالمناسبات والترتيبات وبعضها خارجي كأسباب النزول .  
لقد صرح ابن عاشور أنه سيعتني ببيان أغراض كل سورة في مطلعها وفي ذلك يقول : " ولم  
أغادر سورة إلا بينت ما أحيط به من أغراضها لئلا يكون الناظر في تفسير القرآن مقصورا على  
بيان مفرداته ومعاني جملة كأنها فقر متفرقة تصرفه عن روعة انسجامه وتحجب عنه روائع  
جماله " 1 .

### الفرع الرابع : جهود محمد الغزالي :

تعد جهود الشيخ محمد الغزالي رائدة في هذا الباب حيث أنه استفاد ممن سبقه من العلماء خاصة  
الشاطبي ، وعبد الله دراز ، و استطاع أن يوظف تلك النظرة الكلية للسورة القرآني في مجال  
التفسير الشفاهي من خلال الدروس التي ألقاها إما في المساجد ، على طلبته في الجامعة .<sup>2</sup> ثم

<sup>1</sup> المرجع نفسه ، 8 / 1

<sup>2</sup> محمد دراجي ، تجديد مناهج التفسير ضرورة ملحّة ، مقال بمجلة الصراط ، 114 . و ينظر أحمد رحمانى ، مناهج

التفسير الموضوعي وعلاقتها بالتفسير الشفاهي ، 3 .

## قسم: أصول الدين

نجده بعد ذلك قد إنتقل إلى مرحلة جديدة قائمة على التدوين المستقل حيث ألف كتابه المتميز " نحو تفسير موضوعي لسور القرآن الكريم " .

يقول مثلاً: " في سورة الحجرات جملة من الآداب التي تزين الأمة و تصون كيانها ، أولها أدب المسلمين مع رسولهم ، ثم آداب المسلمين بعضهم مع بعض ، ثم علاقة الأمة كلها بسائر الأمم " .<sup>1</sup>

## قسم: أصول الدين

المحاضرة السابعة: القراءة التدرجية و علاقتها بتحصيل المعاني.

إن تحصيل المقاصد القرآنية هو امثال لأمر الباري بوجوب تدبر القرآن ، وتحصيل هديه قال

تعالى : ﴿ كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبْرَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُوا الْأَلْبَابِ ﴾ [ص

29] . ﴿ أَفَلَا يَتَدَّبَّرُونَ الْقُرْآنَ وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا

كَثِيرًا ﴾ [النساء 82] .

و الأمر بالتدبر يفيد ضرورة النظر لتحصيل المعاني التي تحقق الصلاح للإنسان في معاشه ، وعاقبة أمره ، يقول صاحب اللسان : " وقيل: الدَّبْرَةُ العاقبة . ، ودَبَّرَ الأمرَ وتَدَبَّرَهُ: نظر في عاقبته، واستدَبَّرَهُ: رأى في عاقبته ما لم ير في صدره... " <sup>1</sup> .

يقول الشاطبي : " فالتدبر إنما يكون لمن التفت إلى المقاصد ، وذلك ظاهر في أنهم أعرضوا عن مقاصد القرآن ؛ فلم يحصل منهم تدبر " <sup>2</sup> .

و يقول ابن عاشور أن المراد أنه تعقب: " ظواهر الألفاظ ليعلم ما يدبر ظواهرها من المعاني المكنونة والتأويلات اللائقة " <sup>3</sup> .

إن مراتب الناس في تحقيق التدبر متفاوتة ، و منازلهم في تحصيل المراد مختلفة ، وليس أدل على ذلك من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه عَنْ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " إِنَّ مَثَلَ مَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ عَزَّ وَجَلَّ مِنْ الْهُدَى وَالْعِلْمِ كَمَثَلِ غَيْثٍ أَصَابَ أَرْضًا فَكَانَتْ مِنْهَا طَائِفَةٌ

<sup>1</sup> ابن منظور لسان العرب مادة د ب ر .

<sup>2</sup> الشاطبي ، الموافقات، 4 / 210 .

<sup>3</sup> ابن عاشور ، التحرير والتنوير ، 24 / 253 .

## قسم: أصول الدين

طَبِيبَةٌ قَبِلَتْ الْمَاءَ فَأَنْبَتَتْ الْكَلَاءَ وَالْعُشْبَ الْكَثِيرَ وَكَانَ مِنْهَا أَجَادِبُ أَمْسَكَتِ الْمَاءَ فَنَفَعَ اللَّهُ بِهَا النَّاسَ فَشَرِبُوا مِنْهَا وَسَقَوْا وَرَعَوْا وَأَصَابَ طَائِفَةٌ مِنْهَا أُخْرَى إِنَّمَا هِيَ قِيعَانٌ لَا تُمْسِكُ مَاءً وَلَا تُنْبِتُ كَلَاءً فَذَلِكَ مَثَلٌ مَنْ فَقَهُ فِي دِينِ اللَّهِ وَنَفَعَهُ بِمَا بَعَثَنِي اللَّهُ بِهِ فَعَلِمَ وَعَلَّمَ وَمَثَلٌ مَنْ لَمْ يَرْفَعْ بِذَلِكَ رَأْسًا وَلَمْ يَقْبَلْ هُدَى اللَّهِ الَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ".<sup>1</sup>

ولا يفوتنا هنا التذكير بتميز سيدنا عبد الله بن العباس رضي الله عنه حينما فقه معاني سورة النصر ، وفاق غيره من صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ابن القيم شارحا مراتب فهم النص ودراجات تدبره ، : " مِنْهُمْ مَنْ يَفْهَمُ مِنَ الْآيَةِ حُكْمًا أَوْ حُكْمَيْنِ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَفْهَمُ مِنْهَا عَشْرَةَ أَحْكَامٍ أَوْ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ ، وَمِنْهُمْ مَنْ يَقْتَصِرُ فِي الْفَهْمِ عَلَى مُجَرَّدِ اللَّفْظِ دُونَ سِيَاقِهِ وَدُونَ إِيْمَانِهِ وَإِشَارَتِهِ وَتَنْبِيهِهِ وَاعْتِبَارِهِ ، وَأَخْصُ مِنْ هَذَا وَاللَّطْفُ ضَمُّهُ إِلَى نَصِّ آخَرَ مُتَعَلِّقٌ بِهِ فَيَفْهَمُ مِنْ أَفْتَرَانِهِ بِهِ قَدْرًا زَائِدًا عَلَى ذَلِكَ اللَّفْظِ بِمُفْرَدِهِ ، وَهَذَا بَابٌ عَجِيبٌ مِنْ فَهْمِ الْقُرْآنِ لَا يَتَنَبَّهُ لَهُ إِلَّا النَّادِرُ مِنْ أَهْلِ الْعِلْمِ ، فَإِنَّ الدَّهْنَ قَدْ لَا يَشْعُرُ بِازْتِبَاطِ هَذَا هَذَا وَتَعَلُّقِهِ بِهِ".<sup>2</sup>

إن للتدبر القرآني أركان تقوم على علاقة ثلاثية تجمع بين النص المتدبر فيه<sup>3</sup> ، والمتدبر ، وعملية التدبر نفسها و التي تتطلب شروطا و قواعد خاصة

و عامة. كضرورة تطهير القلب من خلال إصلاح القصد ، والمراد منها أن لا يكون للمتدبر قصد من تلاوة القرآن وتدبره إلا أن يكشف عن مراد الله ، ويفهم معاني كلامه تعالى ليهتدي

<sup>1</sup> رواه مسلم، كتاب الفضائل، باب بيان مثل ما بعث به النبي صلى الله عليه وسلم من الهدى والعلم، رقم الحديث: 2282.

<sup>2</sup> ابن القيم ، إعلام الموقعين ، 1/ 267.

<sup>3</sup> تم الإشارة لهذا في المدخل من خلال الحديث عن خصائص النص القرآني و مراتب النظر فيه .

## قسم: أصول الدين

بها ، فتكون قراءته خالصة لوجه الكريم، لا كمن جاء إلى القرآن يريد أن يتخذ آياته وسيلة لتحقيق أغراضه والوصول إلى مقاصده ، مثلما فعل أهل الباطنية وغيرهم من الفرق الفاسدة .

ومن آليات التدبر القراءة المتأنية للنص و المتكررة ، من أجل تحصيل المعاني على مستوى مقاطع السورة الواحدة ، و البحث في دلالة أسماؤها و كذا فواتحها وخواتمها و في ذلك يقول الفراهي : " اعلم أن تعيين عمود السورة هو إقليد لمعرفة نظامها . . ولكنه أصعب المعارف ، ويحتاج إلى شدة التأمل والتمحيص ، وترداد النظر في مطالب السورة المتماثلة والمتجاورة ، حتى يلوح العمود كفلق الصبح ، فتضيء به السورة كلها ، ويتبين نظامها ، وتأخذ كل آية محلها الخاص ، ويتعين من التأويلات المحتملة أرجحها"<sup>1</sup>.

و على المتدبر هنا أن يوظف في كل قراءة مسلكا من تلك المسالك الكاشفة عن المقصود ، كأن يبحث عن دلالات أسماء السورة التوقيفية و علاقتها بوحدة السورة ، أو أن يستحضر معاني فواتح السورة من خلال النظر في مقاطعها ، وهكذا في كل مرة يكرر القراءة لتحصيل معاني مشتركة يدل عليها اجتماع المسالك . هاته المسالك بعضها متعلق بترتيب أجزاء القرآن ، وبعض المسالك متعلق بأمر خارجي ، كالعلم بالمقام الحالي كمعرفة المكي و المدني ، و أسباب النزول ، و الفضائل الواردة في صحيح السنة النبوية . و فيما يلي نحاول ذكر بعض المسالك على وجه التمثيل .

## قسم: أصول الدين

### المحاضرة الثامنة : المكي والمدني و أثرهما في الكشف عن المقصود

وهي تلك المسالك التي تترجم ظروف و بيئة نزول الخطاب و ما يتعلق به من آثار و أقوال للصحابة والتابعين ما من شأنها أن يبرز مقاصد الخطاب القرآني .

لقد تميز القرآن الكريم بنزوله مفرقا على مدار سنوات عديدة ، فكان من مستلزمات ذلك أن يعرف ظروف تنزيل مختلفة ، يراعى فيها خصائص المتلقي المتأثرة بالبيئة المحيطة به ، و أحواله الزمانية و المكانية، لذلك نجد عناية كبيرة من قبل المفسرين من أجل ضبط تلك الظروف ، لأن بمعرفتها نقف على حقيقة المعاني القرآنية المرجوة من التنزيل .فما حقيقة المكي والمدني ؟ وكيف يمكن استثماره كمسلك للكشف عن المقاصد القرآنية ؟ .

### حقيقة المكي و المدني :

لقد اعتنى الصحابة بمعرفة أماكن نزول القرآن الكريم عناية خاصة ،يقول الباقلاني : "فأما المكي و المدني من القرآن فلا شبهة على عاقل في حفظ الصحابة و الجمهور منهم إذا كانت حالهم و شأنهم في حفظ القرآن

و إعظامه ، وقدره من نفوسهم ما وصفناه لما نزل منه بمكة ثم بالمدينة ، والإحاطة بذلك و الأسباب و الأحوال التي نزل فيها و لأجلها"<sup>1</sup>

ويؤكد الأمر ابن مسعود رضي الله عنه : "والله الذي لا إله غيره ، ما نزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم أين نزلت ، و لا أنزلت آية من كتاب الله إلا أنا أعلم فيمن أنزلت ، و لو أعلم أحدا

1 أبو بكر الباقلاني ، الانتصار 247 ، للقرآن ت: محمد عصام القضاة، دار ابن حزم بيروت

## قسم: أصول الدين

أعلم مني بكتاب الله تبلغه الإبل لركبت إليه <sup>1</sup>.

وحتى نضبط حقيقة المكي والمدني ، يجب أن نسوق أقوال العلماء في أسس تقسيمه لأن التعاريف تختلف باختلاف تلك التقاسيم ، فهناك من قال بأن المكي هو ما نزل بمكة و المدني ما نزل بالمدينة . وهناك من قال بأن المكي ما كان خطابا لأهل مكة والمدني ما كان خطابا لأهل المدينة . وقيل أن المكي ما نزل قبل الهجرة والمدني ما نزل بعد الهجرة .

التقسيم الأول والثاني تقسيمات غير منضبطة لأن هناك من القرآن ما نزل بغير المدينة أو مكة ، كتلك الآيات التي نزلت في زمن الغزوات ، وهناك من القرآن ما ليس بخطاب لأهل مكة ولا لأهل المدينة ، كخطاب النبي خاصة و خلاصة القول أن التقسيمين لا يحققان المكية والمدنية أي ثنائية التقسيم <sup>2</sup>.

أما التقسيم الأخير فهو الأضبط عند العلماء وخال من الاعتراضات ، فقسّمته ثنائية ، والمكي ما نزل قبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم ، أما المدني ما نزل بعد الهجرة النبوية حتى وإن نزل بمكة أو ما جاورها ، كقوله تعالى : " اليوم أكملت لكم دينكم " مع اتفاقهم أنها نزلت في عرفة إلا أنها من المدني . فقد لوحظ في هذا التقسيم مكان إقامة النبي صلى الله عليه وسلم <sup>3</sup>.

<sup>1</sup> . ينظر البخاري ، الجامع الصحيح ، باب القراء من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم رقم الحديث 5002 ،

<sup>2</sup> . ينظر البرهان في علوم القرآن ، الزركشي ، 1/ 187 ، فضل عباس ، إتقان البرهان ، 1/ 369 .

<sup>3</sup> فضل عباس إتقان البرهان ، 1/ 369 .

## قسم: أصول الدين

بعد ضبط تلك المصطلحات نعود إلى بيان أثر العلم بالمي والمدني في بيان مقاصد السور القرآنية ،لقد استثمر المفسرون قديما العلم بالمي والمدني في الكشف عن مقاصد السور القرآنية ، يقول ابن الجوزي : "اعلم أن السور المكية أكثرها في إثبات العقائد، والرد على المشركين ، وفي قصص الأنبياء و أن السور المدنية نزل أكثرها في الأحكام الشرعية وفي الرد على اليهود و النصارى ، وذكر المنافقين ، و الفتوى في مسائل ، وذكر غزوات النبي صلى الله عليه وسلم"<sup>1</sup>

ويؤكد المعنى السابق ابن القيم فيقول :الاعتناء في السور المكية إنما بأصول الدين ، من تقرير التوحيد و المعاد و النبوة ، وأما تقرير الأحكام و الشرائع فمظنة السور المدنية"<sup>2</sup> وينقل لنا ابن تيمية كلاما نفيسا في الباب : "السور المكية تضمنت الأصول التي اتفقت عليها رسل الله إذا كان الخطاب فيها يتضمن الدعوة لمن يقر بأصل الرسالة ، و أما السور المدنية ففيها الخطاب لمن يقر بأصل الرسالة ، كأهل الكتاب الذين آمنوا ببعض الكتاب ، و كفروا ببعض ، وكالمؤمنين الذين آمنوا بكتب الله و رسله ، و لهذا قرر فيها الشرائع التي أكمل الله بها الذين كالقبلة ، والحج .... وغير ذلك من تمام الدين"<sup>3</sup>

ومن أفضل النماذج التطبيقية لهذا المسلك نجده عند شيخ المقاصد الإمام الشاطبي رحمه الله عليه في كتابه الموافقات ، حيث أنه استفاد من علمه بمكية السورة للدلالة على معانيها الكلية وعلى وحدة قضية السورة فيقول : "سورة المؤمنين نازلة في قضية واحدة، وإن اشتملت على

<sup>1</sup> ابن جزي ،التسهيل لعلوم التنزيل ابن جزي 1 / 8 .

<sup>2</sup> ابن القيم ، التبيان في أقسام القرآن 204

<sup>3</sup> التبيان في أقسام القرآن، ابن القيم، 204

## قسم: أصول الدين

معان كثيرة فإنها من المكيات ، وغالب المكّي أنه مقرر لثلاثة معان أصلها معنى واحد ، وهو عبادة الله تعالى : أحدها : هو تقرير الوجدانية لله الواحد الحق ، غير أنه يأتي على وجوه ، كنفي الشريك بإطلاق ، أو نفيه بقيد ما ادعاه الكفار في وقائع مختلفة من كونه مقربا إلى الله زلفى ، أو كونه ولدا... والثاني: تقرير النبوة للنبي محمد ، وأنه رسول الله إليهم جميعا صادق فيما جاء به من عند الله .... والثالث : إثبات أمر البعث و الدار الآخرة ..... هذه المعاني الثلاثة هي التي اشتمل عليها المنزل من القرآن بمكة في عامة الأمر ، ..... و ما ظهر ببادئ الرأي خروجه عنها ، فراجع إليها في محصول الأمر ... فإذا تقرر هذا و عدنا إلى سورة المؤمنين مثلا ، وجدنا فيها المعاني الثلاثة على أوضح الوجوه ، إلا أنه غلب على نسقها ذكر إنكار الكفار للنبوة التي هي المدخل للمعنيين الباقين ، وأنهم إنما أنكروا ذلك بوصف البشرية ، ترفعا منهم أن يرسل إليهم من هو مثلهم ، أو ينال هذه الرتبة غيرهم إن كانت ، فجاءت السورة تبين وصف البشرية ، وما تنازعا فيها منها ، وبأي وجه تكون على أكمل وجوهها ، حتى تستحق الاصطفاء

و الاجتباء من الله ....<sup>1</sup>

من الضروري للمفسر أن يكون صاحب علم بخصائص القرآن المكّي والمدني لأنه يستصحب ذلك معه عند البحث عن أغراض السور ، فإذا علم بمكية السورة أو مدنيها استطاع أن يحدد أهدافها و قضيتها العامة . "فمن المعلوم أن السور المكية أكدت على تقرير أربعة أمور : الإيمان بالله وحده ، الإيمان بالبعث بعد الموت ، الإيمان بالرسالات السماوية ، الدعوة إلى أمهات الأخلاق ، فإذا كانت السورة مكية فلا يخلو الأمر من أن يكون من أهدافها الأساسية هذه

<sup>1</sup> الشاطبي ، الموافقات 4 / 296 وما بعدها .

## قسم: أصول الدين

الأربعة مجتمعة أو متفرقة. و السور المدنية بالإضافة إلى تقرير ما سبق استهدفت بناء المجتمع الإسلامي على أساس من الإيمان و الطاعة والتشريعات التفصيلية في شؤون الحياة ، كما استهدفت حماية المجتمع الإسلامي من الأخطار الداخلية و الخارجية ، بكشف خطط المتآمرين الحاقدين الساعين في الأرض بالفساد من اليهود و المنافقين ، فلا تخلو سورة مدنية من قضية البناء ، أو الصيانة أو الحماية ....."<sup>1</sup>.

---

1 مصطفى مسلم، مباحث في التفسير الموضوعي ، 43 ،

## قسم: أصول الدين

المحاضرة التاسعة: المسالك التعليلية التناسبية داخل السورة وأثرها في التقصيد.

ويقصد به تلك المسالك القائمة على علم المناسبات القرآنية داخل السورة الواحدة.

المسلك الأول: الترجمة لاسم السورة القرآنية و علاقته ببيان مقصودها :

السورة من المصطلحات الجديدة التي ابتكرها القرآن ، و هي اسم للقطعة القرآنية التي تكون وحدة مستقلة فيه، تتكون من عدد من الآيات أقلها ثلاث ، وتتميز بأنها مترجم لها باسم أو بأسماء من شأنها أن تشير إلى خصائصها أو تبرز معانيها ،ومن هنا نجد أن عددا من العلماء اعتبروا أن اسم السورة كاشف لمقصودها و أقدمهم البقاعي . قبل البسط في المسألة لإثبات أن اسم السورة كاشف لمقصودها، لا بد من مناقشة مجموعة من القضايا انفصلها تباعا .

أولا : مصدر تسمية السور :

لقد اختلف العلماء في مصدر أسماء السور القرآنية ، فقليل أنها اجتهادية ، و قيل أنها توقيفية .  
القائلون بالتوقيف : ومنهم السيوطي قال في الإتيان : " قد ثبتت جميع أسماء السور بالتوقيف من الأحاديث و الآثار ، ولولا خشية الإطالة لبينت ذلك " و أدلتهم في ذلك كثيرة ، وفي طليعتها تلك الأحاديث التي نقلت أسماء للسور القرآنية منها:

- حديث عمر بن الخطاب حينما خطب يوم الجمعة ، فذكر نبي الله صلى الله عليه وسلم ، وذكر أبا بكر ثم قال : إني لا أدع بعدي شيئا أهم عندي من الكلاله ، ما راجعت رسول الله صلى الله عليه وسلم في شيء ما راجعته في الكلاله ، وما أغلظ لي في شيء ما أغلظ لي

## قسم: أصول الدين

فيه حتى طعن بإصبعه في صدري وقال: " يا عمر ألا تكفيك آية الصيف التي في آخر سورة النساء " <sup>1</sup>.

- وعن عائشة رضي الله عنها ، قالت : " لما نزلت آخر البقرة ، قرأهن النبي صلى الله عليه وسلم عليهن في المسجد ، ثم حرم التجارة في الخمر " <sup>2</sup>.

- وعن حذيفة قال: " صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فافتتح البقرة فقلت : يركع عند المائة . ثم مضى فقلت : يصلي بها في ركعة . فمضى فركع بها ، ثم افتتح النساء فقرأها ثم افتتح آل عمران فقرأها يقرأ مترسلاً إذا مر بآية فيها تسبيح سبح وإذا مر بسؤال سأل وإذا مر بتعوذ تعوذ ، ثم ركع فجعل يقول : سبحان ربي العظيم ، فكان ركوعه نحواً من قيامه ، ثم قال : سمع الله لمن حمده ، ثم قام طويلاً قريباً مما ركع ، ثم سجد فقال : سبحان ربي الأعلى ، فكان سجوده قريباً من قيامه . قال وفي حديث جرير من الزيادة فقال سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد " <sup>3</sup>.

- عن أبي أمامة الباهلي قال : سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول : " اقرأوا القرآن ، فإنه يأتي يوم القيامة شفيعاً لأصحابه ، اقرأوا الزهراوين : سورة البقرة ، وسورة آل عمران ، فإنهما يأتيان يوم القيامة كأنهما غمامتان ، أو غيابتان ، أو كأنهما فرقان

1 رواه مسلم في كتاب الفرائض ، باب ميراث الكلاله رقم الحديث: 1617 .

2 رواه البخاري ، أبواب المحصر و جزاء الصيد . رقم الحديث 1953

3 رواه مسلم في كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب استحباب تطويل القراءة في صلاة الليل . رقم الحديث

## قسم: أصول الدين

مِنْ طَيْرٍ صَوَافٍ ، تُحَاجَّانِ عَنْ أَصْحَابِهِمَا ، اقْرَأُوا سُورَةَ الْبَقَرَةِ ، فَإِنَّ أَخَذَهَا بَرَكَةٌ ،  
وَتَرَكَهَا حَسْرَةٌ ، وَلَا يَسْتَطِيعُهَا الْبَطَلَةُ " <sup>1</sup>

- وعن أبي الدرداء أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ " : مَنْ حَفِظَ عَشْرَ آيَاتٍ مِنْ أَوَّلِ  
سُورَةِ الْكَهْفِ عَصِمَ مِنَ الدَّجَالِ " <sup>2</sup> ..

### القائلون بالتوفيق:

هنا ننقل كلاما لطاهر بن عاشور و مفاده : " و الظاهر أن الصحابة سموها بها حفظوه عن النبي  
صلى الله عليه وسلم أو اخذوا لها أشهر الأسماء التي كان الناس يعرفونها بها ، ولو كانت  
التسمية غير مأثورة ، فقد سمى ابن مسعود القنوت "سورة الخلع والخنع" كما مر فتعين أن  
تكون السورة من وضعه ، وقد اشتهرت تسمية بعض السور في زمن النبي صلى الله عليه  
وسلم ، وسمعتها وأقرها وذلك يكفي في تصحيح التسمية " <sup>3</sup>.

مما سبق سابقا نستطيع القول بأن أسماء السور منها ما ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم ،  
ومنها ما اشتهر بين الصحابة ولم ينكر النبي تلك التسميات ، وهي في الحقيقة أسماء نبوية لأن  
النبي أقرها ، كما أن الأصحاب سموها وهم

أهل لذلك ، فهم أصحاب العشرة الطويلة فقهوا معاني القرآن . ومعظمها مدون اليوم في  
المصاحف الموجودة بين أيدينا .

### ثانيا :مسألة تعدد الأسماء وعلاقتها بالمعاني:

<sup>1</sup> رواه مسلم ،كتاب صلاة المسافرين وقصرها ، باب فضل قراءة القرآن و سورة البقرة ، رقم : 804 .

<sup>2</sup> رواه مسلم كتاب: صلاة المسافرين وقصرها ،باب :فضل سورة الكهف وآية الكرسي ، رقم : 809 .

<sup>3</sup> الطاهر بن عاشور ، التحرير والتنوير ، 1/ 91

## قسم: أصول الدين

لا يمنع أن تكون للسورة أسماء متعددة ، منها الاسم الثابت لها والمشهورة به ، بالإضافة إلى أسماء أخرى أطلقها عليها بعض الصحابة أو التابعين أو غيرهم ولم تشتهر بها . وفي هذا يقول الزركشي : "ينبغي البحث عن تعداد الأسماء هل هو توقيفي أو بما يظهر من المناسبات ؟ فإن كان الثاني فلن يعدم الفطن أن يستخرج من كل سورة معاني كثيرة تقتضي اشتقاق أسائها و هو بعيد " <sup>1</sup>.

فالأسماء قد تتعدد وبينها وبين السورة علاقات وطيدة ، ومناسبات لطيفة على أساس من المعاني ، ولا إشكال إذن في كون تلك الأسماء توقيفية ، أو توفيقية ، ولكن تبقى الأسماء التوقيفية أولى بالتوظيف في الدرس التفسيري ، من التوفيقية التي استنبطها العلماء ، والتي قد تفتقر إلى مستند أو أثر عن النبي أو عن الصحابة أو التابعين .

### ثالثا : إثبات العلاقة بين السورة واسمها :

إن لكل سورة من القرآن مقصودا كليا يدار عليه أولها وآخرها ، ومن طرق الكشف عنه نجد اسم السورة ، فمن عرف المراد منه كما قال البقاعي عرف مقصودها " <sup>2</sup>.  
فالأسماء كما هو معلوم ليست إلا قوالب للمعاني كما قال ابن القيم : "لما كانت الأسماء قوالب للمعاني ، ودالة عليها اقتضت الحكمة أن يكون بينها وبينها ارتباط وتناسب ، و أن لا يكون المعنى معها بمنزلة الأجنبي المحض الذي لا تعلق له بها فإن حكمة الحكيم تأبى ذلك و الواقع يشهد بخلافه بل للأسماء تأثير في المسميات ، وللمسميات تأثير عن أسائها ..... " <sup>3</sup>.

1 الزركشي ، البرهان في علوم القرآن ،

2 . ينظر البقاعي ، مصاعد النظر ، 1/ 149 .

3 ابن قيم الجوزية ، زاد المعاد في هدي خير العباد ، ت شعيب وعبد القادر الأرناؤوط ، 2/ 307 .

## قسم: أصول الدين

ف: "بين الأسماء والمسميات من الارتباط والتناسب والقراءة، ما بين قوالب الأشياء وحقائقها، وما بين الأرواح والأجسام، عبّر العقل من كل منهما إلى الآخر....."<sup>1</sup>.

و من هنا نؤكد على تلك العلاقة القائمة بين السورة و أسائها ، خاصة تلك الثابتة عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أو عن أصحابه أو تابعيهم ، فالاسم يترجم لتلك المعاني والمقاصد التي أحاطت بها السورة .

وقد أصل لهذه القاعدة الإمام البقاعي رحمة الله عليه في كتابيه نظم الدرر ومصاعد النظر ، حيث أنه استفاد من شيخه أبو الفضل البجائي ، الذي وضع مسلكا للكشف عن نظام السورة القرآنية فقال : "الأمر الكلي المفيد لعرفان مناسبات الآيات في جميع القرآن هو أنك تنظر الغرض من المقدمات وتنظر إلى مراتب تلك المقدمات في القرب والبعد من المطلوب ، وتنظر عند انجرار الكلام في المقدمات إلى ما يستتبعه من استشراف نفس السامع إلى الأحكام واللوازم التابعة له التي تقتضي البلاغة شفاء العليل يدفع عناء الاستشراف إلى الوقوف ، فهذا هو الأمر الكلي المهيمن على حكم الربط بين جميع أجزاء القرآن ، وإذا فعلته تبين لك إن شاء الله وجه النظم مفصلا..... وقد ظهر لي باستعمالي لهذه القاعدة بعد وصولي إلى سورة سبأ في السنة العاشرة من ابتدائي في عمل هذا الكتاب أن اسم السورة مترجم عن مقصودها لأن اسم كل شيء تظهر المناسبة بينه وبين مسماه عنوانه الدال إجمالاً على تفصيل ما فيه ....."<sup>2</sup>.

ولو عدنا مثلاً إلى كتاب مصاعد النظر ، لوجدنا البقاعي قد استنبط مقاصد سور القرآن من خلال العودة إلى أسائها ، وفيما يلي نماذج لذلك :

<sup>1</sup> المصدر نفسه ، 2 / 308 .

2 . البقاعي ، نظم الدرر ، 1 / 18-19

## قسم: أصول الدين

من منهج البقاعي أنه يذكر أسماء السورة في بداية تفسيره ، ففي سورة البقرة ذكر اسمها البقرة والسنام والزهراء و طابق بينها وبين المقصود من السورة.

"مقصودها إقامة الدليل على أن الكتاب هدى ليتبع في كل ما قال ، وأعظم ما يهدي إليه الإيمان بالغيب ومجمعه الإيمان بالآخرة ، فمداره الإيمان بالبعث الذي أعربت عنه قصة البقرة التي مدارها الإيمان بالغيب .....<sup>1</sup>

وسميت بالزهراء : لإنارتها طريق الهداية والكفاية في الدنيا والآخرة ... وبالسنام: لأنه ليس في الإيمان بالغيب بعد التوحيد الذي هو الأساس الذي ينبنى عليه كل خير ، والمنتهى الذي هو غاية السير و العالي على كل غير بأعلى ولا أجمع من الإيمان بالآخرة ، ولأن السنام أعلى ما في بطن المطية الحاملة والكتاب الذي هي سورته هو أعلى ما في الحامل للأمر وهو الشرع الذي أتاهم به رسولهم صلى الله عليه وسلم".<sup>2</sup>

نجد أن البقاعي يذكر أسماء أخرى للبقرة ، وهي في الحقيقة ليست إلا صفات لها كقوله : أنها فسطاط القرآن ، وسيدة القرآن ، وهنا ينقل كلاما نفيسا للإمام الحرالي عن سورة البقرة : " ففيها لذلك جوامع ينتظم بعضها ببعض أثر تفاصيله خلالها في سنامية معانيها وسيادة خطابها نحواً من انتظام أي سورة الفاتحة المنتظمة من غير تفصيل وقع أثناءها ليكون بين المحيط الجامع والابتداء الجامع مشاكلة ما " .

1 المصدر نفسه .

2. نظم الدرر 57-58 / 1 .

## قسم: أصول الدين

نجد أن هناك بعض المفسرين قد وافق البقاعي في منهجه هذا ، فمن المعاصرين نجد مثلا : مصطفى مسلم صاحب مباحث في التفسير الموضوعي وقد اشترط أن يكون اسم السورة الدال على معناها توقيفي<sup>1</sup>.

في حين نجد من ينتقد هذا الاتجاه ، ويعد التعويل على اسم السورة في الدلالة على المعنى ، هو انتصار للنظرة الجزئية ، وعلى رأس هؤلاء نجد الشيخ محمد الغزالي يقول: "أسماء السور شيء غير موضوعاتها ، فالموضوعات غالبا متشعبة مستفيضة ، أما الأسماء فذات دلالات جزئية"<sup>2</sup> ونجد كذلك الدكتور سامر رشواني ينتقد التعويل على استخدام أسماء السور مؤيدا في ذلك الشيخ الغزالي ، واحتج أن تعدد أسماء السورة عائق في معرفة مقصودها فيقول: "ومن الإشكالات التي اعترض بها على القول باعتماد اسم السورة في الكشف عن عمودها وتناسبها هو أن كثيرا من سور القرآن قد ورد لها أكثر من اسم ، فسورة الجاثية تسمى الشريعة ، وسورة محمد تسمى القتال ، وسورة المائدة تسمى العقود والمنقذة..... وهكذا ومن الأسماء ما هو توقيفي ومنها ما هو اجتهادي ، فعلى أي اسم سنعتمد في استخراج مقصودها .."<sup>3</sup> في الحقيقة يمكن القول أن الاعتماد على أسماء السور يكون على التوقيفي منها ، أما الاجتهادي فيستأنس به ولا حرج في ذلك ، لأن التعدد من شأنه تأكيد المعاني وتحقيق التظافر .

## المسلك الثاني: مطالع السور و أثرها في بيان مقاصد السور :

1 مصطفى مسلم ، مباحث في التفسير الموضوعي دار القلم ، 41 .

2 ينظر محمد الغزالي ، التفسير الموضوعي ، 70 .

3 سامر رشواني . منهج التفسير الموضوعي ، 324 .

## قسم: أصول الدين

عبر العلماء عن تلك العلاقة الجامعة بين مطلع السورة ومقصودها ببراعة الاستهلال<sup>1</sup> حيث يشير المتكلم إلى غرضه من الكلام عند الابتداء. مثلما يعبر مطلع الهلال عن شهره<sup>2</sup> وقد جعلوا حسن الابتداء دليل بلاغة المتكلم فقول: " أحسنوا معاشر الكتاب الابتداءات فإنهن دلائل البيان "<sup>3</sup>.

و لأن القرآن جاء وفق لسان العرب و عاداتهم فقد قدم أنموذجا رائعا لتحقيق براعة الاستهلال سواء على مستوى السور أو على مستوى القرآن ككل . حيث سارت تلك المطالع دليلا على الأغراض القرآنية المختلفة . فالسورة القرآنية تدل مطالعها على مقاصدها ، و من تتبع القرآن ظهر له ذلك واضحا حتى على مستوى المطالع المبنية على الحروف المقطعة ، فيما يلي نماذج تبين كيف استطاع العلماء توظيف تلك المطالع في بيان المقصود و الغايات .<sup>4</sup>

### مثال:

لما جاءت سورة الكهف لتحقيق العصمة من الفتن بجميع أنواعها نجد أنها قد أشارت لهذا المقصد في بداية السورة حيث استهلّت بحديث عن الكتاب والسنة فهما العصمة والنجاة من

---

1 تم التفريق بين براعة الاستهلال و حسن الابتداء على أساس معرفة المقصود ببراعة الاستهلال أدق من حسن الابتداء لأن براعة الاستهلال حسن ابتداء وزيادة .

2 محمد الشخص ، براعة الاستهلال و التخلص و حسن الختام في شعر الخنساء دراسة بلاغية ، 8 .

3 أبو هلال ، كتاب الصناعتين : الكتابة والشعر ، ص : 489

4 لقد وظف الطاهر بن عاشور الكشف عن براعة الاستهلال في القرآن بطريقة متميزة للكشف عن أغراضها ينظر سورة الفاتحة ، البقرة ، آل عمران ، النساء ، المائدة ، الفرقان ، لقمان ، سبأ ، غافر ، الرحمن ، الحديد ، الجمعة ، القيامة ، تبارك ، النبأ ، النازعات ، المطففين ، الأعلى ، التين ، العلق ، المسد .

## قسم: أصول الدين

جميع الفتن قال تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُدِ عَوَجًا﴾ [الكهف 1] .

مثال :

ونجد مثلا الرازي رحمة الله عليه في تفسيره لسورة النساء يشير إلى علاقة مطلع السورة بمقصودها فيقول: "اعلم أن هذه السورة مشتملة على أنواع كثيرة من التكاليف... ولما كانت هذه التكاليف شاقة على النفوس، لثقلها على الطباع لا جرم افتتح السورة بالعلة التي لأجلها يجب حمل هذه التكاليف الشاقة، وهي تقوى الرب الذي خلقنا، والإله الذي أوجدنا".<sup>1</sup>

المسلك الثالث: إشارة آخر السورة لمقصودها.

إن لخواتم السور أهمية في بيان مقاصد السور القرآنية حيث أنها عادة ما تشير لتلك المقاصد الواردة فيها. من قريب أو بعيد، يقول: "وجميع خواتم السور الفرقانية في غاية الحسن و نهاية الكمال، لأنها بين أدعية ووصايا و فرائض

و تمهيد و تهليل، إلى غير ذلك من الخواتم التي لا يبقى في النفوس بعده تطلع و لا تشوف إلى ما يقال، كالدعاء الذي ختمت به سورة البقرة

والوصايا التي ختمت بها آل عمران و الفرائض التي ختمت بها النساء، والتبجيل

## قسم: أصول الدين

و التعظيم الذي ختمت بهما المائدة ... والحض على الجهاد و صلة الأرحام اللذين ختمت بهما الأنفال ... و تسليته عليه السلام التي ختمت بها سورة يونس.... ومدح القرآن و ذكر فائدته و العلة في إنزاله الذي ختمت به سورة ابراهيم .<sup>1</sup>

فيما يلي نورد أمثلة تبين أهمية دلالة الخواتم على أغراض السورة القرآنية.

مثال:

يقول الرازي في آخر سورة النحل عند تفسير قوله تعالى: ﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَانِتًا لِلَّهِ حَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [النحل 120]: "اعلم أنه لما زيف في هذه السورة مذاهب المشركين في أشياء، منها قولهم بإثبات الشركاء و الأنداد لله تعالى ... فلما بالغ في إبطال مذاهبهم في هذه الأقوال ، و كان إبراهيم رئيس الموحدين و قدوة الأصوليين ، وهو الذي دعا الناس إلى التوحيد و إبطال الشرك ، وإلى الشرائع و المشركون كانوا مفتخرين به ، معترفين بحسن طريقته ، مقرين بوجوب الإقتداء به ، لا جرم ذكره الله في آخر هذه السورة، و حكي طريقته في التوحيد ، ليصير ذلك حاملا لهؤلاء المشركين على الإقرار بالتوحيد و الرجوع عن الشرك".<sup>2</sup>

مثال:

ويقول ابن تيمية: "لما كانت سورة البقرة سنام القرآن، و أكثر سوره أحكاماً ، و أجمعها لقواعد الدين : أصوله و فروعه ... ختمها الله تعالى بآيات جوامع مقررة لجميع مضمون السورة"<sup>3</sup>.

<sup>1</sup> ابن أبي الإصبع المصري، تحرير التحبير في صناعة الشعر والنثر و بيان إعجاز القرآن، 620-621.

<sup>2</sup> الرازي ، مصدر سابق، 20 / 107

<sup>3</sup> ابن تيمية ، مجموع الفتاوى 14 / 129

## قسم: أصول الدين

### المسلك الرابع: تناسب آخر السورة مع أولها والإشارة إلى المعاني المشتركة

لقد أشار العلماء لهذا المسلك من خلال تأسيسهم لضرورة النظر الكلي في كتاب الله فأكدوا على أهمية النظر في أول الكلام وفي آخره، لما له من علاقة بتحقيق المقصود، ومما يدخل تحت مسمى النظرة الكلية ربط خواتم السور بمطالعها.

يؤكد ابن حيان العادة القرآنية القائمة على الربط بين أجزاء السورة خاصة في السور الطوال و في ذلك يقول: "وقد تتبعت أوائل السور المطولة فوجدتها يناسبها أو آخرها بحيث لا يكاد ينخرم منها شيء... وذلك من أبداع الفصاحة، حيث يتلاقى آخر الكلام المفرط في الطول بأوله، وهي عادة العرب في كثير من نظمهم، يكون أحدهم أخذاً في شيء، ثم يستطرد منه إلى شيء آخر، ثم إلى آخر هكذا طويلاً، ثم يعود إلى ما كان أخذاً فيه أولاً، ومن أمعن النظر في ذلك سهل عليه مناسبة ما يظهر ببادئ النظر أنه لا مناسبة له".<sup>1</sup>

بل الأمر يتعدى إلى جميع السور القرآنية فتجد دائماً تلك المعاني المشتركة بين الأوائل والأواخر، ولا يمكن للمفسر أن يقتنص المعاني الكلية للسورة إن أهمل رد آخر السور على أولها، وقد ذكر الشاطبي هذا الأمر فقال: "المساقات تختلف باختلاف الأحوال والأوقات والنوازل وهذا معلوم في علم المعاني والبيان، فالذي يكون على بال من المستمع والمتفهم الالتفات إلى أول الكلام وآخره، بحسب القضية وما اقتضاه الحال فيها، لا ينظر إلى أولها دون آخرها، ولا في آخرها دون أولها، فإن القضية وإن اشتملت على جمل فبعضها متعلق

## قسم: أصول الدين

بالبعض ، لأنها قضية واحدة نازلة في شيء واحد ، فلا محيص للمتفهم عن رد آخر الكلام على أوله ، وأوله على آخره ، وإذ ذاك يحصل مقصود الشارع في فهم المكلف ، فإن فرق النظر في أجزاءه فلا يتوصل به إلى مراده ...<sup>1</sup>

مثال :

سورة سبأ: هي سورة مكية جاءت آياتها لإثبات قضية البعث يقول سيد قطب: "موضوعات هذه السورة المكية هي موضوعات العقيدة الرئيسية: توحيد الله و الإيذان بالوحي ، و الاعتقاد بالبعث، وإلى جوارها تصحيح بعض القيم الأساسية.. و التركيز الأكبر في السورة على قضية البعث و الجزاء"<sup>2</sup>

بدأ الله تعالى سورة سبأ بالحديث عن الغيب فقال عز وجل: ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْأَخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ۝١ يَعْلَمُ مَا يَلْبِغُ فِي الْأَرْضِ وَمَا تَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ ۝٢ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عِلْمُ الْغَيْبِ لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ ۝٣﴾ [سبأ 1-3]

وقال تعالى في آخر السورة: ﴿ وَقَالُوا ءَامَنَّا بِهِءِ وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاقُشُ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ۝٤ وَقَدْ كَفَرُوا بِهِءِ مِنْ قَبْلُ وَيَقْذِفُونَ بِالْغَيْبِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ ۝٥ وَحِيلَ بَيْنَهُمْ

1 الشاطبي ، الموافقات ، 1/375

2 سيد قطب، في ظلال القرآن. 5/ 277.

## قسم: أصول الدين

وَيَبِّئَنَّا مَا يَشْتَهُونَ كَمَا فُعِلَ بِأَشْيَاعِهِمْ مِّن قَبْلُ إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُّبِينٍ ﴿سبأ 52-

[54]. لقد بدأت السورة ببيان موقف المشركين من البعث حيث أنهم يصرون على إنكاره

والتهمك بالنبي حين أخبر عنه و هكذا مضت السورة في إثبات البعث ثم ختمت ببيان

إقرارهم به ولكن بعد فوات الأوان.<sup>1</sup>